

# "ظاهرة الإلحاد
# أسبابها وسبل مواجهتها
# في ضوء الدعوة الإسلامية"

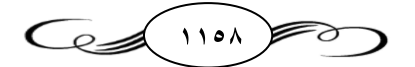

إعداد

**د. أحمد المعداوي مكي العفيفي**

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة


١٤٣٤هـ-٢٠٢٢م



# "ظاهرة الإلحاد أسبابها وسبل مواجهتها في ضوء الدعوة الإسلامية"

**أحمد المعداوي مكي العفيفي**

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني : ahmedmekki@azhar.edu.eg

**الملخص:**

ثمة أناس أعرضوا عن جلي الآيات، وأغفلوا النعم والمعجزات، فجحدوا الحقائق الإيمانية والبراهين اليقينية، بحجة عدم الشعور بها، وتناسوا أن الإنسان مخلوق قاصر العقل مقهور الطبع، فالكون الفسيح غيب غائب عن الإنسان، لا يدرك الإنسان منه إلا ما يحسه وهو لا شيء أمام ما غاب عنه، فيلزم منه جحود ما لا يدركه بحواسه؛ فيجحد عقله وروحه وغير ذلك وهذا باطل لا يقول به عاقل، فبطل ما أدى إليه وهو تحكيم الحس في كل جانب، ووجب الإذعان بأن هناك غيباً دليله السمع والخبر، كما أن المحسوس دليله الحس، إلا أن هناك من كابر وأعرض عن الحق واتخذ الإلحاد ديناً ومشرباً، فكان هذا البحث، الذي افتتح بتحرير المفردات، ثم بدأ بعرض الأسباب التي عملت على ظهور الإلحاد بالعالم الغربي، وأشهرها التناقض الكبير الكائن بين الكتاب المقدس ومعطيات العلم الحديث، واضطهاد الكنيسة للعلماء، وتفسير الغيبيات بقوانين الطبيعة وفساد القياس،

ومع الثورة الماركسية كانت الموجة الإلحادية التي أرَّقت الشعوب، واهتز لها العالم؛ فأصبح الإلحاد ظاهرة عالمية، كما يهدف البحث إلى بيان عوامل تسرُّب الإلحاد إلى العالم العربي والإسلامي، كالانبهار بالحضارة الغربية والتأثر بها وبالفكر الاستشراقي، وإطراء العقل والافتتان بالعلم التجريبي، والعُقَد النفسية والفراغ الفكري والضعف الإيماني الذي سرى في جسد الأمة نتيجة التخلي عن مؤهلات الريادة، وقد عُني البحث بذكر الأسباب فهي مصدر الداء، مَن فطن إليها نجح في وضع سبل الوقاية منها، واتخاذ الآليات لمواجهتها، ويأتي في مقدمتها توثيق عُرى الإيمان، وتربية النشء على أسس اليقين، والتصدِّي لشبهات الملحدين وتفنيدها، وسن القوانين الرادعة لمزدري الأديان تطهيراً للمجتمع من خطرهم.

<u>**المنهج:**</u> وكان المنهج المتبَّع في هذه الدراسة منهج البحث التكاملي (الاستردادي التاريخي- النقدي - التحليلي).

<u>**النتائج:**</u> وتوصل البحث إلى نتائج منها أن فقدان القدوة وإهمال التربية، سبب رئيس في ضعف الإيمان ثم الانسلاخ من الدين، وقد مهّد هذا للجرأة على الإلحاد، فبعض الشباب الفارغ فكرياً وعلمياً قلَّد الحركة الفكرية الغربية، وثار على الدين وأنكر المسلمات، كما انساق نحو اعتناق الماركسية.

**التوصيات:** ضرورة تجديد الخطاب الإيماني بأسلوب عصري، يتوافق مع الواقع، وضرورة ترسيخ الحضور القرآني في القضايا الفكرية، حيث يعطي المسلم قوة في الطرح وحكمة وسداداً في النقد.

**الكلمات المفتاحية:** الإلحاد، ظاهرة، التحدي، المواجهة، الأسباب، الدعوة.

# "The phenomenon of atheism has its causes and ways to confront it in the light of the Islamic call"

**Ahmed Al-Madawi Makki Al -Afifi**

Department of Islamic Advocacy and Culture, Faculty of Religious Origins and Advocacy in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.

**Email:** ahmedmekki@azhar.edu.eg

**Abstract:**

There are people who have expressed the obvious verses, and have overlooked the blessings and miracles, so they have gathered the truths of faith and certain proofs, under the pretext of not feeling them, and forgetting that man is a creature of a deficient mind, the vast falcon is absent from man, from which man does not realize Except what he feels when he is nothing in front of what he has missed, he is obliged to do what he does not realize with his senses; To comply that there is a absence of his evidence of hearing and news, and that the perceptible evidence is his sense, but there are people who are arrogant and exposed to the truth and took atheism religion and drink, this research, which opened with the editing of vocabulary, and then began to present the reasons that worked on the emergence of atheism In the



Western world, the most famous is the great contradiction between the Bible and the data of modern science, the church's persecution of scholars, the interpretation of occultism by the laws of nature and the corruption of measurement, and with the Marxist revolution was the atheistic wave that promoted peoples, and the world shook them; A global phenomenon, The research also aims to show the factors of the leakage of atheism to the Arab and Islamic world, such as the fascination with Western civilization and its influence and orientalist thought, the flattery of reason and fascination with experimental science, psychological complexity, intellectual emptiness and religious weakness that was secreted in the body of the nation as a result of abandoning The qualifications of leadership, and the research has concerned me with mentioning the causes, they are the source of the disease, who has been able to develop ways to prevent them, and take mechanisms to confront them, and comes first of all documenting the nudity of faith, raising young people on the basis of certainty, and addressing and refuting the suspicions of atheists, Enact laws that deter religious lycetics in order to cleanse society of their danger.

**Curriculum**: The approach used in this study was integrative research (historical-critical-analytical recovery).

**Results**: The research found that the loss of role models and neglect of education, a major cause of the weakness of faith and then the reproduction of religion, and this paved the way for the audacity of atheism, some young people empty intellectually and scientifically imitated the Western intellectual movement, revolted against religion and denied Muslim women, as well as a tendency towards embracing Marxism.

**Recommendations**: The need to renew the discourse of faith in a modern way, in accordance with reality, and the need to establish the Qur'anic presence in intellectual issues, where the Muslim is given strength in presentation, wisdom and payment of criticism.

**Keywords**: atheism, phenomenon, challenge, confrontation, causes, advocacy.

## بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

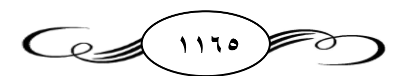
الحمد لله القدير، المتفرد بالخلق والتدبير، العليم الذي يعلم ما في الضمير، الأحد الذي ليس له قسيم ولا نظير، والواحد الذي ليس له شريك ولا شبيه، المريد الذي خلق كل شيء بميزان وتقدير، وأشهد ألا إله إلا الله، شحن الكون بآيات رحمته وملأه بآيات عظمته، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، إمام كل رسول ونبي وسيد كل عام وتقي، حامل لواء التوحيد، مجادل الخصم العنيد، فاللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ذوي الفهم السديد والفكر الرشيد ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الوعيد، وبعدُ:

فإن الله تعالى خلق الخلق، ورسم لهم منهاجاً، وجعل لهم مقصداً، وجعل الحياة ميداناً للاختبار ومسرحاً للابتلاء، واقتضت حكمته أن يجعل أركان الإيمان حقائق غيبية، تعجز الحواس الخمس عن إدراكها لكنها تُدرك بالجنان والوجدان، ولو شاء سبحانه لأظهر الغيبيات، وكشف الآيات، لكنه سبحانه أضمرها، وجعل أدلتها العقلية والحسية والكونية مبسوطة جلية، وآثارها ثابتة باقية، لا يحيد عنها إلا كل مغرض مكابر أو ضال معاند.

وشاء سبحانه وتعالى أن يجعل الإيمان بالكسب والاختيار لا بالقهر والإجبار قال عز وجل لخاتم رسله ×: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}[1] "فالله تعالى على كل شيء قدير، لو شاء لأنزل على خلقه من السماء آية تضطرهم إلى الإيمان قهرًا، وتدفعهم إليه جبرًا، فتصبح رقابهم خاضعة ذليلة

---

(1) سورة الشعراء: الآيتان ٣-٤.



منقادة لما يريد، أو يصبح كبراؤهم ورؤساؤهم منقادين، ولكنه لم يفعل ذلك لأنه لم يرد من أحد الإيمان إلا عن اختيار وطواعية ورضا، لا بالقسر والإكراه، كما قال سبحانه: {وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً، أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(١) ، وقال عز وجل: {وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً}(٢)، وأضحت سنة الله في إرسال الرسل إلى البشر، وإنزال الكتب عليهم، ليؤمنوا عن بيّنة واقتناع"(٣).

وما دام الإنسان مختاراً فإنه يستحق الثواب أو العقاب، سيما وقد حباه الله عقلاً به يعي ويتأمل، ويتفكر ويتدبر، وأرسل إليه رسلاً، فما عجز العقل عن إدراكه وفهمه، جاءت الرسل بتقريره وبيانه، فالإيمان بالغيب قاسم مشترك بين الأنبياء جميعاً قال سبحانه: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}(٤)، "أي: ليعلم الله من ينصر دينه ورسله بالجهاد معهم والوقوف إلى جانبهم، وهم يبلغون دعوة ربهم بالغيب، لا يشاهدون الله تعالى بأعينهم، وإن عرفوه بقلوبهم" (٥).

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٩.

(٢) سورة هود: من الآية ١٢٨.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١٢٣/١٩) بتصرف يسير، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط الثانية ، ١٤١٨ هـ.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٥) أيسر التفاسير (٥/ ٢٧٧)، الشيخ أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الخامسة، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.



فالمؤمنون إن لم يروا الله جهرا بأبصارهم رأوه ببصيرتهم يقيناً جازماً كالعيان، وهذا ما منحه الله لعباده المحسنين، فأُولى درجتي الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فالكون ناطق بوجود الله تعالى، شاهد بوحدانيته فهو الكتاب منشور، لذا أمرنا الله تعالى بالنظر والتأمل لتعميق الإيمان وترسيخه في القلب، وانقسم الناس حيال هذا الأمر، فهم بين مؤمن بربه، تدبر الآيات وتأمل المخلوقات؛ فعلم أن للكون إلهاً خالقاً مالكاً مدبراً، وتوافق ما انتهى إليه العقل، مع ما جاء به النقل، فلا تعارض بين العقل السليم والنص الصريح الصحيح.

وفريق آخر أعرض عن الآيات الساطعة الدالة على توحيد الله وعظمته، وأغفل النعم والمعجزات الكائنة في نفسه ومن حوله وبين يديه، فجحد الحقائق الإيمانية والبراهين اليقينية، محتجاً بعدم الشعور بها، ونسي أنه مخلوق قاصر في عقله وطبعه إن أدرك شيئاً خفي عليه ما عداه، فالكون الفسيح غيب غائب عن الإنسان، لا يدرك الإنسان منه إلا ما يراه أو يسمعه أو يشمه أو يذوقه أو يلمسه وهو لا شيء أمام ما غاب عنه، فيلزم منه ألا يؤمن الإنسان المادي بما لا يراه، وبالتالي يجحد كل الموجودات التي يعجز عن إدراكها فينكر عقله وروحه والكائنات الدقيقة وغيرها وهذا باطل لا يقول به عاقل، فبطل ما أدى إليه وهو تحكيم الحس في كل جانب، ووجب الإذعان بأن هناك غيباً دليله السمع والخبر، كما أن المحسوس دليله الحس، إلا أن هناك من كابر وأعرض عن الحق وجعل المادة أصلاً، واتخذ الإلحاد ديناً ومشرباً، فوجب البحث عن أسباب ظهور الإلحاد وسبل مواجهته وذلك في هذه الورقات الوجيزة.

**أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

لقد دفعني إلى العناية بكتابة هذا البحث عدة أسباب، كشفت عن أهمية تناول الظاهرة وتتمثل فيما يلي:

١- ضرورة الكشف عن أسباب وجود هذه الظاهرة محلياً وعالمياً.

٢- ارتفاع نسبة الإلحاد عالمياً حتى أصبح ظاهرة مهددة لأمن واستقرار المجتمعات، إذ إنها تضرب بالعقائد والأخلاق والمسلمات عُرض الحائط.

٣- بيان أهمية تأصيل روح الإيمان بالله تعالى، فهو أصل الخير وعماد التقدم وسبب العصمة.

٤- بيان الآثار الخطيرة التي أفرزها الإلحاد بين الناس عامة والمسلمين خاصة.

٥- الرغبة في مناقشة الملحدين بعرض بعض شبهاتهم والرد عليها.

**إشكالية البحث:**

كان هدفي حين أمسكت يَراعي لأسطر هذه الكلمات الإجابة عن هذه التساؤلات:

ما مفهوم الإلحاد؟ وهل أصبح اليوم ظاهرة ؟

ما الأسباب التي عملت على ظهور الإلحاد بين الشعوب الغربية؟

وما سبب شيوعه وتمدد جذوره في الدول الغربية؟

وما أسباب تسرب هذا الميكروب إلى جسد الأمة الإسلامية؟



ما الأساليب الناجعة لمعالجة هذه الظاهرة واستئصال شأفتها؟

ما الوسائل والسبل المقترحة لمواجهة الإلحاد ؟

**منهج البحث:**

اتبعتُ في هذه الدراسة مناهج البحث الآتية:

١- **المنهج الاستردادي التاريخي**[١]: وقد تتبعتُ هذا المنهج في استقراء تاريخ الإلحاد وبيان الأسباب التي قادت إليه في العالم الغربي والعالم الإسلامي.

٢- **المنهج النقدي**[٢]: وقد اتبعت هذا المنهج في نقد التُرَّهات ومناقشة السفسطة التي تمسَّك بها الملحدون، زعماً منهم أنهم متبعون للمنهج العلمي، لكنهم خلطوا بين القضايا ومناهجها، وكانوا كمن يزن جرامات الذهب بالمتر من وحدات الطول، وتشبهوا بمن يكيل القمح بالفولت.

---

(١) هو عبارة عن "مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، وكما كان عليه في زمانه ومكانه، وبجميع تفاعلات الحياة فيه". ينظر: البحث العلمي أساليبه النظرية وممارسته العملية، د.رجاء وحيد دويدري، ص ١٥١، دار الفكر بيروت، ط. الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٢) وهذا المنهج عبارة عن مجمل الإجراءات والعمليات الذهنية التي يقوم بها الناقد لإظهار حقيقة الأشياء والظواهر التي يدرسها، وهو بذلك طريقة في التفكير يتم من خلالها بناء تصور حول معالجة إشكالية، بغية الوصول إلى نتائج بشأنها والتوصل إلى حلول لها. ينظر: أسس بناء المنهج النقدي ص١٦، إعداد : صدام حامدي، بدون.



٣- **المنهج التحليلي**[١]: وهذا المنهج نجده مبسوطاً في ثنايا البحث حيث قمت بتحليل بعض النصوص والأحداث لاستنباط العبر والشواهد منها.

ولتحقيق منهج البحث المذكور اتبعت الخطوات الآتية:

١- التزمت ما فرضه عليَّ البحث من الأمانة العلمية فنسبت كل قول إلى قائله وإن كان بتصرف أشرت إلى ذلك في الهامش وذلك بذكر (كلمة ينظر: كتاب كذا، أو بتصرف) وإن كان التصرف بسيطًا قلت: بتصرف يسير.

٢- استشهدت على ما ذكرتُ بما في كتاب الله ﷻ من آيات القرآن، كما استشهدت أيضًا بأحاديث رسول الله ﷺ في هذا البحث.

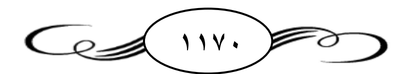
٣- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية تفصيليًا فأذكر عنوان الكتاب والباب ورقم الصفحة ورقم الحديث ودار النشر وتاريخ النشر إن وُجِد.

٤- عزو كل قول إلى قائله ونسبته إلى مصدره مع ذكر رقم الصفحة وتاريخ الطبعة.

٥- قمت بذكر الاسم الأصلي للمصدر أو المرجع واسم صاحبه كاملا مرة واحدة وبعد ذلك اكتفيت بذكر ما اشتهر به كلاهما.

---

(١) المنهج التحليلي: عبارة عن "تفتيت الكلي إلى أجزاء، وتقويم الأجزاء لاختيار فرضيات معينة والوصول إلى نتائج جديدة". ينظر: البحث العلمي المؤسسي ص٧، د. عبد القادر الشيخلي، نشر: المنظمة العربية للتنمية الإدارية – جامعة الدول العربية – المؤتمر العربي الثالث – القاهرة– مصر ٢٠٠٣م.



٦- وضع الفهارس العلمية وترتيبها على النحو التالي :

أ - فهرس المصادر والمراجع مرتبة ترتيبا هجائياً.

ب- فهرس الموضوعات.

**خطة البحث:**

**ظاهرة الإلحاد (أسبابها وسبل مواجهتها) في ضوء الدعوة الإسلامية**

المقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وإشكالية البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد ويشتمل على (التعريف بمفردات عنوان البحث)

**المبحث الأول: أسباب ظهور الإلحاد وعوامل انتشاره**

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: أسباب ظهور الإلحاد في العالم الغربي**

أولاً: التناقض الكبير بين الكتاب المقدس ومعطيات العلم الحديث

ثانياً: اضطهاد الكنيسة الغربية للعلماء واتهامهم بالهرطقة

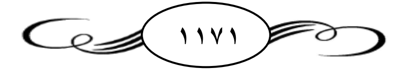
ثالثاً: انتشار التفسيرات الخاطئة والقياس الفاسد

رابعاً: الثورة الماركسية الشيوعية وتبنيها شعار (الدين أفيون الشعوب)

**المطلب الثاني: أسباب ظهور الإلحاد بالعالم الإسلامي**

أولاً: الانبهار بالحضارة الغربية والتأثر بملامحها

ثانياً: التأثر بالغزو الفكري



ثالثاً: إطراء العقل والاغترار بالعلم التجريبي

رابعاً: العُقَد النفسية

خامساً: الجفاف الروحي وفقدان القدوة

سادساً: الضعف العلمي والفراغ الفكري

**المبحث الثاني : سبل مواجهة الإلحاد والوقاية من مخاطره.**

المطلب الأول: الدعوة إلى توحيد الله وتوثيق عُرى الإيمان.

المطلب الثاني: دور الأسرة والمجتمع في تحصين النشء

المطلب الثالث: التصدي لشبهات الملحدين

المطلب الرابع: وضع قوانين منظمة لحرية الفكر والتعبير عن الرأي

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات وفهرس المصادر وفهرس الموضوعات.



## التمهيد: التعريف بمفردات عنوان البحث

من الضروري عند الحديث عن قضية من القضايا أن نذكر المراد من عنوان البحث بتحرير مفرداته، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

### أ- تعريف مصطلح "ظاهرة":

بعد البحث في معاجم اللغة العربية[١] تبين أن لفظ الظاهرة مشتق من الفعل ظهر ويدور حول المعاني الآتية:

١- البيان والبروز بعد الخفاء.

٢- العلو والغلبة يقال: ظهر على العدو غلبه.

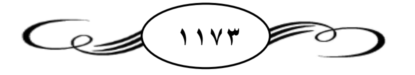
٣- الاطلاع على الحال ومعاينة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾[٢].

والمعنى المناسب للمراد بلفظ الظاهرة في هذه الدراسة هو البروز بعد الخفاء حيث إن الإلحاد لم يكن سوى شطحة فكرية ولوثة شيطانية تصيب شرذمة من الناس لا يؤبه لهم ولا يُعتدُّ بخلافهم، ولكن لعدة عوامل تطرق إليها هذا البحث أصبح الإلحاد مذهباً وفكراً اعتنقته فئات شتى، فتحولت الأقلية إلى أكثرية ، حين أدار الغرب وجهه عن الدين، ورفعت بعض الدول شعار المادية.

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٨) المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٤٤٣)، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) سورة الكهف: من الآية ٢٠.



وأما في الاصطلاح فيطلق مصطلح الظاهرة على "الْأَمر الذي ينجم بَين النَّاس"[1].

وعلى هذا فالظاهرة تطلق على الأمر الذي نجم وانتشر في المجتمع، وعاينه ولمس آثاره العديد من أفراد المجتمع.

**٢- تعريف مصطلح "الإلحاد" :**

الإلحاد في اللغة مصدر مشتق من الفعل الرباعي (ألحد) يقال : ألحدَ، يُلحد، إلحادًا، فهو مُلْحِد، والمفعول مُلْحَد

- ألحد الميّتَ: لحدَه؛ دفَنه في اللَّحْد، واراه التراب.
- ألحد إليه: مال " {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ}[2] ".
- ألحد الشَّخْصُ عن الدِّين/ ألحد الشَّخْصُ في الدِّين: مال عنه وحاد وطعن فيه، أشرك بالله "ألحد الشَّخْصُ عن الحَقّ: عدَل عنه وأدخل فيه ما ليس منه قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا}[3][4].

اتضح مما سبق أن المعنى اللغوي لمصطلح الإلحاد يدور حول معنى أساسي وهو الميل والعدول عن الشيء.

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٨)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١٤٤٣/٢).

(٢) سورة النحل: من الآية ١٠٣.

(٣) سورة فصلت: من الآية ٤٠.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣ / ١٩٩٧).



واصطلاحاً أُطلق تعريفه عند المسلمين على منكري الأديان كالدهرية والزنادقة قال الفخر الرازي[١]: "والإلحاد يأتي بمعنى الإمالة، وبه سمي الملحِد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين آخر"[٢].

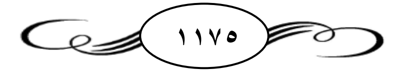
فالإلحاد في الاصطلاح عبارة عن مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى: فيدَّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت، ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة[٣].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي فخر الدين الرازي (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ): الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب). ينظر: الأعلام للزركلي(٣١٣/٦).

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٢٧١/٢٠)، لأبي عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٨٠٣/٣)، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ.



### ٣- التعريف بمصطلح "الدعوة الإسلامية":

إذا نظرنا إلى كلمة الدعوة في معاجم اللغة العربية نجد أنها تطلق ويراد بها عدة معانٍ ويتحدد المعنى المطلوب حسب السياق، ويتضح هذا من خلال ما يأتي:

جاء في لسان العرب: "الدعوة :اسم مصدر من الفعل دعا ومصدره الدعاء، والدعاء: الرغبة إلى الله ﷻ والدعاء: واحد الأدعية، والدعوة :المرة الواحدة من الدعاء، دعاهُ: صاح به، والمصدر دعوة، ودَعَاه إِلَى الأَمِير: ساقَه، والدعاء بمعنى الاستغاثة كما في قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١]، قال الفراء: استغيثوا بهم، والدُّعَاةُ: قومٌ يَدْعُونَ إِلَى بَيْعَةٍ هُدىً أَو ضَلَالَةً ، وَالنَّبِيُّ ﷺدَاعِي اللَّهِ"[٢].

وفي أساس البلاغة: "دعوت فلاناً وبفلان: ناديته وصحت به، ودعاه إلى الوليمة، ودعا الله له وعليه، ودعا الله بالعافية والمغفرة، والنبي ﷺ داعي الله، ودعوته زيداً :سمّيته"[٣].

وعلى ضوء المعنى اللغوي يتبين أنّ الدعوة في اللغة تفيد الرغبة إلى الله ﷻ والدعاء والنداء والسوق إلى الشيء والاستغاثة والرجاء والحث على الشيء والترغيب فيه والتسمية وغيرها.

---

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٣.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ج٣/صـ٣٦٦- ٣٧٠ باختصار، ط دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

(٣) أساس البلاغة – لأبي قاسم محمود بن عمرو الزمخشري- تحقيق محمد باصل عيون الصود، جـ١صـ٢٨٨، دارا لكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.



وما يُعنينا في هذه الدراسة الدعوية من هذه المعاني اللغوية هو أن الدعوة تستعمل لغة في معنى العبادة والتدين لله وهو المقصود بالإسلام، ومعنى الحث على الشيء وهو المقصود بتبليغ الإسلام ونشره.

وأما التعريف الاصطلاحي للدعوة فقد جاء في تعريفها بمعنى الإسلام نفسه أنها "هي النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة"(1).

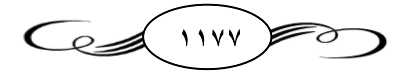
أما الدعوة بمعنى التبليغ والنشر فقيل في تعريفها أنها "عملية إحياء لنظام ما لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط والدعوة الإسلامية على هذا حركة إحياء للنظام الإلهي الذي أنزله الله عز وجل على نبيه الخاتم ،هذا النظام الإلهي قد اتخذ له مجرى في الحياة الإنسانية فكان له تاريخ حفظ للدعوة منهاجًا، ودعاةً حملوها للناس بمنهاجها الفاضل وكان لها غايات حققت بها للبشر حياة ربانية"(2)، من خلال ما سبق أذكر أن المقصود بمصطلح الدعوة الإسلامية في هذه الدراسة المعنيان معًا.

وعلى هذا فالمقصود بعنوان البحث هو معرفة أسباب ظهور الإلحاد وانتشاره في العالم الغربي، وكيف تسربت تلك الظاهرة إلى العالم الإسلامي، وبيان كيفية الوقاية من لوثتها والنجاة من مخاطرها، ووضع الآليات

---

(1) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها صـ33، د.أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون – ط الثانية 1399هـ-1978م.

(2) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها صـ3، د. رؤوف شلبي، الناشر: دار القلم، الكويت، ط الثالثة.



لمواجهتها، وذلك في ضوء الإسلام ووفق مناهج الدعوة الإسلامية ووسائلها المناسبة.

**المبحث الأول: أسباب ظهور الإلحاد وعوامل انتشاره**

لقد مر الإلحاد بمراحل ابتداءً من الظهور ونشوء الفكرة، ثم التوسع وتمدد النفوذ حتى اكتسح بعض البلاد، وانتقل من البلاد الغربية إلى غيرها من بلاد الشرق الإسلامي، وكان لكل مرحلة أسباب عملت على وجوده، وظهور آثاره وتفاقم خطره، كما كان لكل بيئة عوامل أدت إلى نمو الإلحاد فيها، ويمكن بيان السبب في ظهوره وارتفاع نسبة المنتصرين له، والمدافعين عنه من خلال هذين المطلبين:

## المطلب الأول: أسباب ظهور الإلحاد بالعالم الغربي

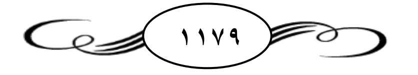
أفاق الغرب المسيحي من الظلمة التي أظلته في العصور الوسطى[١]، بعد أن اختلط بالعرب المسلمين وأخذ عنهم ما برعوا فيه من علوم، لكنهم آثروا العلوم المادية الدنيوية على ما سواها من العلوم الدينية، فأخذ الغرب بأسباب النهضة والتقدم، وطوَّروا ما اطلعوا عليه من ثقافات، فكانت النهضة العلمية الحديثة[٢] على أيديهم، وبسبب الاضطهاد الذي أصاب العلماء من قبل رجال الكنيسة أضحت النهضة برجالها ساخطة على تعاليم الكنيسة، ناقمة على تصرفات رجال الدين، والنتيجة أنها تحللت من ربقة التعاليم الكنسية، ورفعت شعار المادية[٣] وانتصرت الشعوب للعلم

---

(١) العصور الوسطى: وتطلق على الفترة ما بين ٨٠٠ – ١٥٢١م التي اتسمت بكثرة الحروب الأهلية، والتي دامت طويلاً بين البابوية والإمبراطورية، واتسمت بظهور حركات الخروج على مبادئ الكنيسة فيما وسَمَتها الكنيسة بالهرطقة، ولذلك توسعت في استخدام محاكم التفتيش ضد الحركات المنادية بالإصلاح الكنسي. وفي تلك الفترة أيضاً كانت بداية الحروب الصليبية، بالإضافة إلى فتح المسلمين للقسطنطينية عام ١٤٥٣م.ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٠٢).

(٢) عصر النَّهضة الأوربيّة الحديثة: عصر التجديد الأدبيّ والفنيّ والعلميّ ابتدأ في إيطاليا وعمَّ أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٩٤).

(٣) المادية: هي النزعة القائلة بأن كل ما هو موجود مادي، فتنكر أن الكائنات مركبة من ثنائي مادي وروحي، وتزعم أن الفكر والروح من وظائف المادة، ونظرتها للأخلاق مادية نفعية بحتة فكل ما يحقق المصلحة هو خلق فاضل، ونظرتها للعلم والمعرفة مادية أيضاً فلا تعترف إلا بما تثبته التجربة، وتنكر دور الوحي. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/١١٣٧).



والعلماء، وتنكرت للكنيسة وتعاليمها، فأدى هذا إلى إهمال الشعوب للروحانية واتجاه بعض الفئات لإنكارها، وأطل الإلحاد برأسه على بلاد الغرب.

وظل الملحدون عبر العصور المختلفة نسبةً شحيحةً وعدداً قليلاً لا يُذكر، إلى أن جاء عصر النهضة الحديثة، وتأزمت القضية بين الكنيسة الغربية(١) ورواد المنهج العلمي، وكان الصراع الذي انتهى بانتصار العلم، وانقلب الناس على الكنيسة، وكان ولاؤهم لرواد العلم، فقطعوا الصلة بينهم وبين الكنيسة وما تتبناه من عقيدة وأفكار، فحصلت الردة عن الأديان لدى البعض وظهر إنكار الدين، فتحولت قلة الملحدين إلى كثرة ويرجع هذا لعدة أسباب تتمثل فيما يلي:

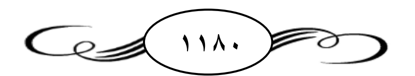
**أولاً: التناقض الكبير بين الكتاب المقدس ومعطيات العلم الحديث**

تضمَّن الكتاب المقدس أخباراً عن الحياة والإنسان والكون، لكنه لما لعبت به الأيدي، وتدخلت فيه الأهواء، صار التناقض واسعاً بين نصوصه ذاتها، فتصرُّف البشر سبب التناقض والتضارب قال الله تعالى في شأن القرآن: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}(٢)، كما كان التناقض فجّاً بينه وبين ما انتهى إليه العلم الحديث،

---

(١) الكنيسة الغربية الكاثوليكية: أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدَّعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، زُعم أن مؤسسها بطرس الرسول، وتتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها، وسميت بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني خاصة. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/٦٠٠).

(٢) سورة النساء: الآية ٨٢.



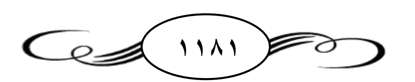
والسبب في ذلك هو (أن الكتاب المقدس كان المصدر الرئيس للمعرفة في العصور الوسطى، وقد تبنَّى رجال الكنيسة الكاثوليكية آراء أرسطو[1] وبطليموس[2] حول الكون والعلوم الطبيعية وألحقوها بمفاهيمهم المقدسة، فكوَّن إنسان العصور الوسطى صورة عن العالم، تتلخص في أن الأرض ثابتة في مركز الكون، وتدور حولها الشمس والقمر وبقية الكواكب، وقد خلق الله العالم من عدم عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد، وحتى تتوسط حياة المسيح تاريخ العالم سيكون يوم القيامة عام ٤٠٠٤ ميلادية، وظل هذا الاعتقاد سائداً حتى نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث[3] بصدور كتاب

---

(١) أرسطو: فيلسوف يوناني، الملقب بـ (المعلم الأول) ، ويُسمى (أرسطوطاليس) ، ومعناه: محب الحكمة، وقيل: محبة الفضيلة، تلميذ أفلاطون وأستاذ الإسكندر المقدوني، كان بارعاً في الطب لكن غلب عليه علم الفلسفة، وجرت فلسفته في اتجاه مغاير لمثالية أفلاطون، وتعاظَم اهتمامها شيئاً فشيئاً بالعلم وظواهر الطبيعة، أول من قال بقدم العالم، من مؤلفاته: (ما بعد الطبيعة) يُعرف بـ (الإلهيات) توفي سنة ٣٢٢ ق. م. ينظر: معجم أعلام المورد ص٥٣، تأليف: منير البعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط الأولى ١٩٩٢م، الوفيات والأحداث ص٤، تأليف: عضو ملتقى أهل الحديث، آخر تحديث بتاريخ: ٢٠ ربيع الأول ١٤٣١هـ.

(٢) بطليموس: رياضي وجغرافي وعالم فلكي يوناني من أهل القرن الثاني للميلاد، نشأ وعاش في الإسكندرية، يُنسب إليه النظام البطليموسي في الفلك، ويقول إن الأرض كرة ثابتة في وسط الكون وإن الشمس والقمر والكواكب السيَّارة تدور حولها في مدارات دائرية، أشهر مؤلفاته كتاب "المجَسْطي" وهو موسوعة فلكية ورياضية تقع في ثلاثة عشر كتاباً. ينظر : معجم أعلام المورد ص١٠٧.

(٣) **العصر الحديث:** يطلق على الفترة الزمنية التاريخية بعد العصور الوسطى، وبدايته تقريبا في القرن السادس عشر الميلادي، وساهمت أحداث كثيرة وكبيرة في تغيير أوروبا إبان فترته بدءاً من سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وسقوط الأندلس واكتشاف ==



عن "دوران الأجرام السماوية" للعالم الفلكي البولندي كوبرنيكوس[1]، الذي أثبت بالحسابات الرياضية أن الأرض مجرد تابع يدور حول الشمس، وقد أكد عالم الفلك الإيطالي الشهير جاليليو[2] باستخدام التليسكوب ما توصَّل إليه كوبرنيكوس رياضياً، وبلغت الجهود العلمية ذروتها على يد عالم الفيزياء الشهير إسحق نيوتن[3] الذي أتم إرساء أسس العلم الحديث، وبالفعل

---

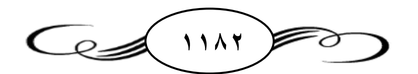
==

الأمريكتين عام ١٤٩٢م، وحركة الإصلاح البروتستانتي لمارتن لوثر عام ١٥١٧م. ينظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(١) **كوبر نيكوس نيقولاوس** (١٤٧٣– ١٥٤٣م): عالم فلكي بولندي، ترك أثرًا كبيراً في الحركتين العلمية والفلسفية طوال قرون متعددة، قال بأن الأرض وسائر الكواكب تدور حول الشمس وحول نفسها، وبذلك قلب معطيات علم الفلك القديم التي كانت تقول بأن الأرض هي مركز الكون الثابت، وتُعرف نظريته هذه بـ "نظام كوبرنيكوس"، وقد أنكرتها الكنيسة الكاثوليكية بوصفها مخالفة لنصوص الكتاب المقدس. ينظر: معجم أعلام المورد ص٣٧٠–٣٧١.

(٢) **جاليليو جاليلي** (١٥٦٤ = ١٦٤٢م): إيطالي، فيلسوف وعالم بالفلك والفيزياء والرياضيات، لقبه (أبو الفيزياء الحديثة)، أثبت نظرية كوبرنيكوس التي تقول بأن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية وتبطل نظرية أرسطو التي تقول بأن الأرض هي مركز الكون، قضى سنواته الأخيرة في الإقامة الجبرية أعمى.ينظر: قصة الحضارة (٢٦٤/٣٠-٢٨٢)، وِل ديورَانت (ت: ١٩٨١م)، ترجمة: د. زكي نجيب محمُود وآخرين، نشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، الوفيات والأحداث ص١٨٢.

(٣) **إسحاق نيوتن** (١٦٤٢ = ١٧٢٧ م): عالم فيزيائي وكيميائي ورياضي وفلكي ولاهوتي ومتخصص في (الفلسفة الطبيعية) ، مكتشف (قانون الجاذبية) ، قيل إنه كان (آريوسياً) غير مؤمن بـ (التثليث) ، نشر في عام ١٦٨٧م أحد أكثر الكتب تأثيراً في تاريخ العلوم وهو (الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية). ينظر: الوفيات والأحداث (ص: ١٨٧).



كان للثورة العلمية أثر مدمِّر للدين في أوروبا، إذ أعقبها في القرن الثامن عشر أكبر موجة إلحادية في التاريخ الحديث، حتى إن ملك انجلترا كان يشكو أن أكثر من نصف أساقفة كنيسته ملاحدة!) [1].

فأطاحت هذه الاكتشافات الحديثة بتعاليم الكنيسة، وجاءت الاكتشافات تترى، فطرقت مجالات متعددة فبعضها في الفلك وأخرى في الرياضيات وثالثة في الطب وأخرى في الفيزياء والكيمياء وغيرها مما لا يمكن حصره، كل ذلك والكنيسة متعصبة لموروثاتها، متمسكة بتقاليدها، لم تلِن ولم تقبل ما أثبته العلم، وعضدته التجربة، وكشفت عنه الوسائل الحديثة، فكانت الموجة الإلحادية التي أرَّقت الشعوب، واهتزَّ لها العالم.

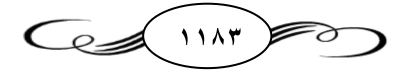
### ثانياً: اضطهاد الكنيسة الغربية للعلماء واتهامهم بالهرطقة[2]

وقد زاد الطين بَلَّه ذلكم الاضطهاد والتنكيل الذي تعرَّض له العلماء على أيدي رجال الكنيسة على مرأى ومسمع من عامة الناس، فوقف العامة من الكنيسة والدين موقف العداء انتصاراً للعلم والعلماء، فقد صبَّت الكنيسة الغربية جام غضبها على هؤلاء العلماء، واتهمت كل من تبنَّى نظريات العلم الحديث بالكفر والزندقة، ونسبته للسحر والشعوذة، وسموهم مهرطقين "واستخدم رجال الكنيسة ضدهم الرقابة على الكتب والمطبوعات لئلا يذيعوا آراءً مخالفةً للعقيدة الكاثوليكية، وتوسعوا في تشكيل محاكم التفتيش ضدهم،

---

(١) وهم الإلحاد ص٢٢-٢٤، أ.د. عمرو شريف، الناشر: مجلة الأزهر، هدية المحرم ١٤٣٥هـ.

(٢) هرطقة: بدعة في الدِّين عند المسيحيين. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٣٤٣).



وقد حكمت تلك المحاكم في الفترة من ١٤٨١-١٤٩٩م على تسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بأحكام مختلفة(١)، كما أصدرت قرارات تحرِّم قراءة كتب جاليليو وكوبرنيكوس، ونيوتن لقوله بقانون الجاذبية الأرضية، وتأمر بحرق كتبهم، وقد أحرق بالفعل الكاردينال إكيمنيس(٢) في غرناطة ثمانية آلاف كتاب مخطوط لمخالفتها آراء الكنيسة"(٣).

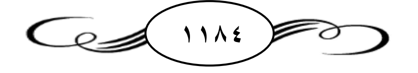
وهكذا حاولت الكنيسة مصادرة الفكر، وإنكار الحقائق العلمية، وتعصبت للموروث، وحملت الناس على ذلك بقوة السيف، وسعت لوأد النهضة العلمية في مهدها، فخاب مسعاها وأُسقط في يديها، لغلبة سلطان العلم وقوة برهان العقل، وانتهى الصراع بانتصار الناس للحركة العلمية، وقاطعوا الكنيسة وما تبنته من أفكار، ووجهوا إليها سهام النقد والنقض.

---

(١) وكان جاليليو في مقدمة العلماء المحكوم عليهم حيث قررت الكنيسة أن نظريات كوبرنيكس وجاليليو أشد خطراً على الكنيسة من هرطقات لوثر وكلفن. وفي أغسطس ١٦٣٢م حظرت المحكمة الاستمرار في بيع كتاب "المحاورات" لجاليليو، وأمرت بمصادرة النسخ الباقية. وفي ديسمبر دعت جاليليو للمثول أمام مندوب الحكومة في روما. وتوسل أصدقاؤه إلى أولي الأمر أن تشفع له لديهم شيخوخته (٦٨ عاماً)، ولكن على غير طائل، وحُكم عليه بالسجن المؤبد، وبقي تحت الإقامة الجبرية أعمى حتى وفاته عام ١٦٤٢م. ينظر: قصة الحضارة (٣٠/ ٢٧٨)، الوفيات والأحداث ص١٨٢.

(٢) فرانثيسكو خيمينيث: كاردينال إسباني ولد سنة ١٤٣٦م، هو شخصية كبيرة ومؤثرة في تاريخ إسبانيا؛ حيث كان أمير سر الملكة إيزابيلا، وكبير المفتشين (محاكم التفتيش لليهود والمسلمين) دخل على الجزائر من وهران بنية نشر المسيحية وعرض حرب، توفي سنة ١٥١٧م. ينظر: الموسوعة الحرة.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة (٢/٦٠٤).



**ثالثاً: انتشار التفسيرات الخاطئة والقياس الفاسد**

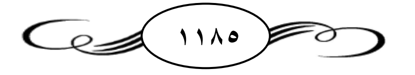
بعد أن تمت الاكتشافات الحديثة حدث الانبهار بها، ففُتن الناس بقوانين الطبيعة وظنوا أن باستطاعة هذه القوانين تفسير سائر القضايا المشاهدة والغيبية "فبعد أن توصل نيوتن لقوانينه سادت النظرة المادية، وصار ينظر إلى النظام الشمسي، بل وإلى جسم الإنسان، باعتبارهما كالساعة الزنبركية التي تُملأ ثم تُترك لتعمل تلقائياً دون الحاجة لإله، وبذلك تلاشت تماماً النظرة الغائية(١) التي تعني أن لله غاية من الكون والإنسان"(٢).

ونتيجة الاغترار بقوانين الطبيعة، والخلط بين أنواع القضايا والمسائل، شاع لدى الإنسان الغربي سؤالٌ مفاده: "إذا كان العلم قد قطع شوطاً كبيراً في فهم آليات ظواهر كانت تفسَّر بشكل غيبي (ميتا فيزيقي) كالأمراض والرعد والبرق والزلازل ....، فما المانع في أن يتوصل العلم لتفسير كل ما

---

(١) **الغائية:** عبارة عن الاتجاه الفكري القائل إن سلوك الإنسان والحوادث التاريخية والطبيعية مرتبطة ببعضها ارتباط علة بغاية موجهة نحو تحقيق غايات معينة، ويعتبر أصحاب المنهج العلمي أن الغائية عقبة في طريق العلم الذي ينظر إلى الظاهرة من حيث حقيقتها القائمة وعلاقتها بغيرها دون نظر إلى غايتها، ويرى النفعيون أن الخير في النظرية الغائية للأخلاق يتغير بتغير ظروفه، وأنه مرهون بنتائجه، وهناك المذهب الغائي الذي يعزو إلى الطبيعة دوراً مهماً في تفسير الكون وربط ظواهره بالعناية الإلهية. ينظر: الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة (٢/١١٠٠).

(٢) ينظر: وهم الإلحاد ص٢٤، أ.د. عمرو شريف.



نعتبره من الغيبيات ؟ وبذلك تلاشت في نظر الكثير من الشعوب الغربية الحاجة إلى الدين وإلى الإله" [١].

وبذلك ظهر خلل المنهج العلمي التجريبي؛ لأنهم خاضوا به في غير أرضه، ووضعوه في غير موضعه، فصار أداةً لهدم العقائد الغيبية والقيم الأخلاقية حيث ربطوها بالمنفعة والمصلحة، وقد جنت أوروبا عاقبة ذلك حيث فسدت الطباع، وانتكست الفِطَر، وماتت المروءة، وانصرفت الشعوب لإشباع الشهوات، وسخرت في سبيل ذلك جميع وسائل التقدم، وتناست القيم والفضيلة، وبلغ الانحلال أوجه بين الأجيال الناشئة.

**رابعاً: الثورة الماركسية الشيوعية[٢] وتبنيها شعار (الدين أفيون الشعوب)**

تُنسب هذه الثورة لكارل ماركس فهو الذي نفخ في نارها حتى أشعلها ثورة عالمية، وان للثورة الماركسية دور رئيس في تمدد نفوذ الإلحاد، حيث تحللوا من جميع الأديان وأعلن الاتحاد السوفيتي إلحاده، ودعا إلى ما تبناه "وبدخول القرن العشرين ظهرت مقولة (الدين أفيون الشعوب) التي أطلقها

---

(١) المصدر السابق ص٢٥.

(٢) الماركسية الشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة ١٩١٧م بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار. وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، ولما تفكك الاتحاد السوفيتي إلى دول مستقلة، تخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٩١٩).



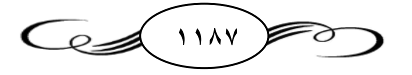
كارل ماركس[١]، وقصد بها أن الأغنياء والحكام يستغلون مفهوم الدين لتخدير الفقراء، وحملهم على قبول ما هم فيه من بؤس كأمر واقع، طمعاً في الفردوس في حياة بعد الموت"[٢].

زعم أصحاب الفكر الماركسي أن الدين صنعه الأغنياء تخديراً للفقراء، ولم يدركوا أن الإنسان غنياً كان أو فقيراً ديِّنٌ بطبعه، فقد عاشت شعوب دون حضارات وثقافات لكنها لم تعِش دون دين، حيث دفعتهم غريزة التدين إلى البحث عن إله يعبدونه ويدينون له، فمن لم يصلْ إليه نور الوحي، ولم تبلغه دعوة الرسل، اختلق ديناً ومعتقداً ليرضي غريزته، والدين الحق لم يكن يوماً أفيوناً للشعوب بل إنه جاء لتحرير الإنسان من رُبقة الجهل، ونزعة التقليد، واتباع الهوى، كما أن الدين الحق يأمر بالحرية، ويحرص على تحقيق العزة ورفع لواء الكرامة، وينهى عن الظلم والبغي، ويحذِّر من التهاون والتخاذل، ويحث المظلوم على طلب الحق، ويأمر بالدفاع عن النفس، ويشتد نكيره على كل سلبي إمَّعة يقبل الضيم ويرضى بالدون، وإذا كان الدين الحق يحض على إطعام المسكين، ويأخذ الحق من مال الغني للفقير، فأي دين خدَّر الفقراء وخدع الشعوب كما زعم الملحدون المتخرصون؟.

---

(١) كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م): عالم اقتصادي وفيلسوف اجتماعي ألماني، نشر مع صديقه (إنجلز) البيان الشيوعي عام ١٨٤٨م، أُبعد عن ألمانيا وفرنسا، فشخص إلى لندن عام ١٨٤٩م، حيث انكب على الدرس في المتحف البريطاني، أشهر آثاره "رأس المال" في ثلاثة مجلدات. ينظر: معجم أعلام المورد (ص٤٠٥-٤٠٦).

(٢) ينظر: ينظر: وهم الإلحاد ص٢٥، أ.د. عمرو شريف.



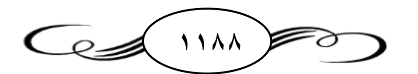
## المطلب الثاني: أسباب ظهور الإلحاد بالعالم العربي والإسلامي

إذا كان بدء ظهور الإلحاد بأوروبا نتيجة الصدام الواقع بين تعاليم الكنيسة وبين العلم الحديث، فإن هذا السبب لا وجود له داخل ديار المسلمين، فالإسلام دين العلم والعقل معاً، والنصوص الواردة في شأن العلم كثيرة متضافرة، ويكفي أن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[1]، فأمرت الآيات بالعلم وحثت عليه، والقراءة هنا لا تكمن في استظهار الكتب فحسب، بل تعم الكتاب المسطور والكون المنشور، كما حملت الآيات في طياتها إشارات علمية ترشد الإنسان إلى معرفة خالقه والبحث عن مادة خلقه وهي العلق، كما تشتمل على ذكر القلم الذي هو من وسائل التعلم؛ إشادة بدور العلم، وتبيِّن أن العلم المطلق عند الله يجود به على من يشاء.

كما نجد أن القرآن زاخر بالإشارات العلمية التي أخبر عنها في بيئة بدائية بين أناس أميين، لا نصيب لهم من علوم الطبيعة، ولم تظهر هذه الإشارات إلا في عصر العلم، فدل هذا على أن الخبر أتى النبي صلى الله عليه وسلم من خالق الكون الخبير بشأنه، وثمة نماذج لا تحصى تشهد بموافقة العلم الحديث لما ورد في القرآن منها: "أن القرآن الكريم نزل في الوقت الذي ساد فيه الاعتقاد الخاطئ بأن الكون الذي نحيا فيه قديم أزلي وسيبقى إلى الأبد، وأنه كون ساكن ثابت في مكانه لا يتغير، وأن السماء تدور بنجومها الثابتة كقطعة واحدة حول الأرض، وأن الكون نشأ من

---

(1) سورة العلق: الآيات ١-٥.



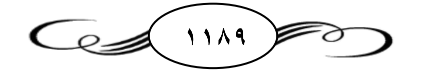
العناصر الأربعة: التراب والماء والهواء والنار وغير ذلك من الخرافات، فجاء القرآن الكريم في هذا الوقت مؤكِّداً أن الكون مخلوق له بداية، وستكون له في يوم من الأيام نهاية، ومؤكِّداً أن جميع أجرام السماء في حركة دائبة وجري مستمر، وأن السماء ذاتها في توسع دائب إلى أجل مسمى، كما أن السماوات والأرض كانتا في الأصل جُرماً واحداً متفرداً، ففتقهما الله تعالى، فتحولت مادة هذا الجرم الأول إلى الدخان الذي خلقت منه الأرض والسماء"[١].

فثمة فرق كبير بين مضمون التوراة والإنجيل -بعد التحريف- عن الكونيات، وبين مضمون القرآن عنها، فـ "نظرية الانفجار العظيم"[٢] التي أشار إليها القرآن لم يستطع أحد أن يصل إليها من أرباب العلم التجريبي إلا بعد منتصف القرن العشرين، بينما نجد التضارب جلياً بين محتويات الكتاب المقدس وبين العلم الحديث، والسبب أنها من تخرُّصات الفلاسفة وظنونهم، والقرآن من لدن حكيم خبير.

---

(١) ينظر: وهم الإلحاد ص٦٨-٧٠.

(٢) والإشارة القرآنية لهذه النظرية وردت في قوله تعالى {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السموات وَالْأَرْضَ كَانَتَا رتقًا فَفَتَقْنَاهُمَا} (سورة الأنبياء من الآية ٣٠)، فالآية الكريمة تدل على أن الكون الذي نحيا فيه بدأ الله خَلْقَه من جرم ابتدائي واحد "مرحلة الرتق" وهو القادر على كل شيء، ثم أمر الله تعالى بفتقِ هذا الجرم الابتدائي فانفتق، وهذه مرحلة الفتق، وتحول إلى سحابة من الدخان "مرحلة الدخان" وخلق الله تعالى من هذا الدخان كلًّا من الأرض والسماء، أي: جميع أجرام السماء، وما ينتشر بينها من مختلف صور المادة، والطاقة مما نعلم، وما لا نعلم وتعرف هذه المرحلة باسم مرحلة الإتيان بكل من الأرض والسماء. ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص: ١١٦-١١٧)، تأليف ونشر: جامعة المدينة العالمية، المرحلة: ماجستير، كود المادة: GUQR٥٣١٣ و GAQD٥١٣٣.



وقد كان لانتقال موجة الإلحاد من العالم الغربي إلى العالم العربي والإسلامي أسباب متنوعة وعوامل مختلفة، يرتكز بعضها على نقص المعرفة، وبعضها على اضطراب الأحوال الاجتماعية، وبعضها اعتمد على غريزة تقليد المغلوب للغالب، ويمكن بيان هذه الأسباب فيما يلي:

## أولاً: الانبهار بالحضارة الغربية والتأثر بملامحها

عندما انتقلت النهضة العلمية الصناعية من بلاد الغرب إلى الشرق انتقلت بخصائصها، ففُتن بعض أبناء الشرق بها وأخذوا بركابها، وقلَّدوا رجالها تقليداً أعمى، وأخذوا عنها دون تمييز بين الغث والسمين، فانتقل الفكر المادي إلى الشرق كجزءٍ من الحضارة الغربية، وظهر هذا بوضوح "إبَّان القرن التاسع عشر بعد احتلال كثير من البقاع الإسلامية، ونُقلت الأفكار المادية إلى الشرق الإسلامي سواء باللغات التي كان يتكلم بها الهنود أو إلى اللغة العربية، وتسبب ذلك في سريان موجة من الإلحاد؛ بسبب اعتناق بعض الذين تأثروا بهذا الفكر الغربي المادي ودفاعهم عنه، وبدا في كثير من الذين تعلموا على أيدي أساتذة غربيين، ولكنه شاع بعد ذلك في كثير من المتعلمين في العالم الإسلامي، بل وصل إلى أنصاف المتعلمين من الذين رددوا الفكر الماركسي والوجودي[1]"[1].

---

(1) الوجودية: مذهب فكري يقوم على دعوة خادعة، وهي أن يتحلل الإنسان من كل ما يربطه بالمجتمع من نظم وقواعد وعادات وتقاليد، وأن يطلق نفسه على هواها تهيم في كل واد، وترعى كل ما يصادفها على طريقها من غير وعي أو تفكير أو تقدير لما يأخذ أو يدع من أمور، ومن غير تقيّد بشيء ما؛ فلا دين ولا بيت ولا زوجة ولا وطن، فالوجودية آخر تيار فكري أوجدته المادية الحديثة؛ فهي دعوة إلى عزل الإنسان عن عالمه الروحي، وجعله جسدا حيوانيا، ولا يجد في كيانه شيئا من العواطف والمشاعر ==

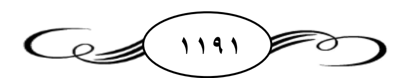
واستطاع الغرب المتمدن أن يصدِّر أفكاره العلمانية ومذاهبه المادية مع آلاته ومنتجاته، وكان الإلحاد من المذاهب الهدَّامة التي حرص الغرب على تصديرها، وساعد على ظهوره بالعالم الإسلامي، ذلكم التأثر بالانطلاقة العملاقة التي أنجزتها الحضارة الغربية، وما حققته من رفاهية حياتية، وتقدم في وسائل الإنتاج، فتوهَّم بعض أبناء المسلمين أن التقدم الحاصل بدول الغرب إنما سببه فصل الدين عن العلم، والتمرد على المسلمات، والتنكر للأديان، وخال لهم أن الحياة قد استقامت للغربيين، وشيَّدوا مدينة أفلاطون الفاضلة بتحقيق التقدم الصناعي، فأغرتهم الظواهر عن معرفة الجواهر، ونسوا أن السعادة قلبية والاطمئنان نفسي والحضارة أخلاقية.

ومن الأسس النفسية التي قادت إلى تلمس ملامح الحضارة الغربية والمفاخرة بتقليدها، هو ما رسخ في أذهان بعض المسلمين من أن انتصار الغالب وتفوقه إنما هو لكمال فيه لم يدركه المغلوب، فيتملكه الإعجاب به، ويود أن لو كان مثله، فيقلده في لغته ومظهره وملامح حياته، ويحصل التأثر بفكره، وهذا ما نراه بالفعل في شبابنا المسلم، الذين حاكوا الرجل الغربي في سفاسف الأمور، فتقمصوا شخصية الرجل الغربي في الأمور الظاهرية والشكلية التي لا نفع فيها، فانبعثوا في المعاصي –شرب الخمور

==

الإنسانية. ينظر: الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته (ص: ٩٠)، عبد المنعم محمد حسنين، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة – العدد الثاني ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

(١) ينظر: جهود المفكرين المسلمين في مقاومة التيار الإلحادي ص٣٨-٤٠، محمود عبد الحكيم عثمان، مكتبة المعارف – الرياض.



واتخاذ الصديقات- تقليداً لهم، لكنهم آثروا الدعة والخمول في معالي الأمور التي تميز بها الغرب وتقدَّم، كحفظ الوقت واحترام القانون، وكثرة الاطلاع والقراءة، فارتضى الشباب بالدون، فلم يلحق بركب الحضارة، لقعوده عن الأخذ بأسبابها، ولم يتمسك بأخلاق الإسلام الرفيعة وتعاليمه السمحة، التي لا تحجزه عن الحضارة والتقدم بل تقوده إليها، وتدفعه إلى الاستفادة من خبرة الغير والاستعانة به مسلماً كان أم غير مسلم، فالحكمة[1] ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

وإذا ما بحثنا عن وسائل وصول ملامح الحضارة الغربية إلى العالم الإسلامي نجد أنها عديدة، حيث بدأت بالبعثات العلمية[2] التي توجهت إلى بلاد الغرب، وتأثر كثير منهم بالفكر الغربي، ثم كان الاحتلال لبلاد المسلمين، وفي ظل وطأة الاحتلال وظلمه وقمعه، كان التملق والمداهنة من البعض بالسير في ركابه أملاً في التقرب إليه، كان هذا قبل عصر الانفتاح الإعلامي، لكن بعد انفتاح العالم الفضائي وظهور القنوات الفضائية، وانتشار الشبكة العنكبوتية بما اشتملت عليه من برامج وآليات ومواقع وصفحات، أصبح العالم كقرية صغيرة يسهل التواصل بين أفرادها وانتقال الأفكار بينهم، وأصبح الاحتياج إلى الإنترنت ضرورة ملحة للصغير

---

(١) الحكمة معرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة، وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما للإنسان وما عليه، أو هي معرفة الحق لذاته، ومعرفة الخير لأجل العمل به. ينظر: المعجم الفلسفي (١/ ٤٩٢)، د. جميل صليبا (ت: ١٩٧٦م)، الناشر: الشركة العالمية للكتاب – بيروت، ط ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) ينظر: موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين (١/٨٨-٨٩)، إعداد: علي بن نايف الشحود، بدون.



والكبير، ولا يخفى ما تشتمل عليه الشبكة من فكر سقيم وتيارات منحرفة، تطفح بالشبهات المثارة حول الفكر الإسلامي القويم، رغبة في تشويهه وإثارة البلبلة حوله، فيطلع النشء المسلم عليها دون أن يكون عنده رصيد كافٍ من العلم، فيقع في شراكها، ويعجز عن ردها، فيصيبه هذا بالشك في المسلمات، وربما جرَّه إلى الجحود والإنكار في ظل الجهل بأمور الدين، وغياب الثقافة الإسلامية عن الكثير، وسيطرة الغفلة والشهوة، وضعف حملات التحصين والمواجهة.

**ثانياً: التأثر بالغزو الفكري**

لم يكن الفكر المادي الذي زحف من أوروبا إلى بلاد المسلمين هو السبب الوحيد في ظهور التيار الإلحادي، بل إن الغزو الفكري الذي تعددت صوره وتنوعت أساليبه كان سبباً رئيساً أيضاً في ظهور التيار الإلحادي بالعالم الإسلامي، حيث كان هدفه الأعظم هو الهجوم على الإسلام، وتشويه صورته، أملاً في إضعاف ثقة أهله به، ومن ثمَّ التنازل عنه عقيدة وشريعة، وكان الغزو الفكري هو الأسلوب المعاصر الذي انتهجه الغربيون في محاربة الإسلام "والدافع إلى استخدام الغزو الفكري في الحروب الصليبية المعاصرة هو الحصيلة المرة التي خرج بها الصليبيون من حروبهم الأولى[1] مع المسلمين في القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي

(1) الحروب الصليبية: نشبت هذه الحروب ودارت رحاها بين الإسلام والنصرانية في فلسطين، واستمرت زهاء قرنين من الزمان من عام (٤٨٩ هـ الموافق ١٠٩٥ م)، إلى عام (٦٩٠ هـ الموافق ١٢٩١ م)، وإنها عند التحقيق جاءت إنفاذًا لقرارات أسهم في صنعها وتغذيتها الاستشراق اللاهوتي حيث كان رجالات الغرب يرقبون بقلق كيف تؤثر القيم الإسلامية على القيم المسيحية تأثيرًا مدمرًا عندما تواجهها، وقد رأى اللاهوتيون ==

عشر والثاني عشر الميلاديين)، والتي انتهت بالهزيمة الساحقة، وعدم تحقيق شيء مما خرج الصليبيون من بلادهم لتحقيقه، وبذلوا فيه الأموال والدماء والنفوس، وفي تلك الحروب الأولى وقع لويس التاسع ملك فرنسا[١] في الأَسْر بعد هزيمة حملته الصليبية، وبقي سجيناً في المنصورة فترة من الوقت حتى افتداه قومه وفُك أسره، وفي أثناء سجنه أخذ يتفكر فيما حل به وبقومه، ثم عاد يقول لقومه: (إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هُزمتم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم)"[٢].

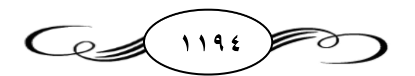
ومنذ هذه اللحظة وضع لويس التاسع الأساليب التي تمكِّن الغرب المسيحي من مواجهة الإسلام والحد من قوته، وكانت معالم سياسته الجديدة واتجاهاتها وأسسها على النحو التالي: "أولاً: تحويل الحملات الصليبية

==

الغربيون فيما بعد: أن حماية المسيحية من الإسلام لا تكون إلا بضربه عسكريًا والاستيلاء على أرضه أو إقناع معتنقيه باتخاذ المسيحية دينًا. ينظر: دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه (١/ ٢١٢)، إسحاق بن عبد الله السعدي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(١) لويس التاسع (١٢١٤-١٢٧٠م): ملك فرنسا، تزعَّم الحملة الصليبية السابعة عام ١٢٤٨م فأُسر في المنصورة بمصر عام ١٢٥٠م، ومن ثم انقلب إلى فرنسا عام ١٢٥٤م، وراح يُعِدُّ لحملة صليبية جديدة، ولكنه مات بالطاعون في تونس بُعيد مغادرته فرنسا عام ١٢٧٠م ويُعرف بالقديس. ينظر: معجم أعلام المورد ص٣٩٤.

(٢) تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري ص٣٤٠، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة (٣٥) العدد (١٢١) ١٤٢٤هـ.

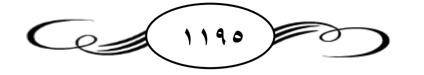


العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف ذات الغرض لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح الذى يستخدم في المعركة، وكان سلاح الحملات الجديدة هو الدس بين العرب بعضهم وبعض، وإثارة الخلافات في الأوساط الإسلامية والعمل على بقاء نارها مستعرة بين الأمراء المسلمين، واستغلال ما يكون بين العرب والمسلمين من منافسات وخلافات استغلالا يمكِّن الغرب من التمتع بامتيازات سياسية واقتصادية كما يهيئ له السبيل إلى تفتيت الكتلة الإسلامية، وإشاعة التفكك في وحدة المسلمين فينهار الإسلام من تلقاء نفسه. ثانيا: تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لمحاربة تعاليم الإسلام، ووقف انتشاره، ثم القضاء عليه معنويا. واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب. ثالثا: العمل على استخدام مسيحيي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب. رابعاً: العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق العربي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز له ومركزاً لقواته الحربية ولدعوته السياسية والدينية. ومنها يمكن حصار الإسلام، والوثوب عليه كلما أتيحت الفرصة لمهاجمته. وقد عين لويس التاسع لإنشاء هذه القاعدة الأراضي الممتدة على ساحل البحر الأبيض من غزة حتى الإسكندرية، وتشمل فلسطين والأردن والبلاد المقدسة ثم لبنان بأسرها"[1].

ومن الخطوات التي تمت في سبيل تحقيق ذلك استقطاب الشباب تحت اسم البعثات العلمية لغزوهم فكرياً، وتربيتهم على موائد الغرب، وإفسادهم بمظاهر الترف، وإغراءهم بالتطور الصناعي العملاق، فتأثر بعض المبتعثين المسلمين بمن تعلَّم على أيديهم وأخذ عنهم من الغربيين،

---

([1]) معركة المصحف في العالم الإسلامي ص١٤٦، الشيخ محمد الغزالي، الناشر: دار نهضة مصر، الطبعة: الأولي.



تارةً لأنه ضعيف الصلة بعلماء الأمة، لا يهتدي إلى من يخرجه من كبوته، ويُحسن توجيهه من العلماء، وأخرى لأن نصيبه من الثقافة الإسلامية ضئيل لا يسعفه لنقد ما يُلقى على سمعه من أباطيل، ولا ينهضه لتفنيد ما يطرأ على فكره من شبهات، وبالتالي لا يصمد أمام ما يُقحم فيه من قضايا، فيظهر عجزه، ويرضي خصمه؛ رغبة في قربه وطلباً لوده، فإذا رجع كان أداة للفكر الغربي، ومعول هدم داخل مجتمعه المسلم الذي نشأ على الإيمان وتربَّى على الفضيلة، وبالفعل تحقق ما أراده لويس التاسع وأتباعه حين خططوا لقطع الشجرة بفرع منها، حيث ظهر من أبناء المسلمين من تربَّى على موائد الغربيين، وسخَّر نفسه لبثِّ أفكارهم وخدمة أغراضهم.

**ثالثاً: إطراء العقل والاغترار بالعلم التجريبي**

أثارت النهضة العلمية عند المفتونين بها نعرة العقلية، فظنوا أنهم بعقولهم يستطيعون إدراك كل شيء، والاستقلال بالمعرفة، وأخطأ من ظن ذلك، إذ العقل قاصر محدود، يفهم بعض القضايا ويعجز عن فهم أكثرها، كما أنه يتفاوت بين الناس فلا يصح أن يكون مقياساً للخير والشر، فجعل الله تعالى الوحي مقياس الخير والشر، وفهمُ الوحي يحتاج إلى العقل فلا تكليف دون توفر العقل السليم، ولا عقل راشد دون وحي شريف، فكما لا تستغني الباصرة عن الشعاع لتكتمل الرؤية فكذا لا رؤية مع الشعاع إذا انعدمت الباصرة، وفي هذا يقول الغزالي[1] رحمه الله: "العقل منبع العلم

---

([1]) الغَزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة ==



ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين"[1].

فالتوافق والانسجام قائم بين العقل السليم والنقل الصحيح، فكلاهما نور من الله، وكلاهما هادٍ إلى الحق، وإذا حصل الترابط بينهما أثمرا اليقين والاطمئنان، وبهما يتحقق الفلاح والسعادة، لذا فمن العجيب أن ترتبط ظاهرة الإلحاد بالنهضة العلمية والنشاط العقلي ! ويدل هذا على اضطراب المنهج العلمي عندهم، وعدم الانسجام بين القضايا ومناهجها لديهم، فقد حكموا على القضايا الغيبية بمناهج تجريبية حسية، فأدى بهم إلى ضلال الفهم وخطأ الاستنتاج.

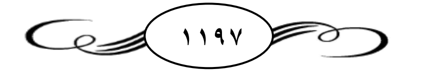
ويمكن معرفة السبب في ظهور التيار الإلحادي بين الشباب الإسلامي "عند فهم شخصيتهم، والمحيط الذي يعيشون فيه، فنجد أن الشاب المسلم يقف حائرا مرتبكاً بين عدة تيارات: سلطان العقل، أوهام التعقل، سلطان العلم، أوهام العلم، سلطان الجهل بحقيقة الإسلام، عدوى الملحدين،

---

==

(من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه (إحياء علوم الدين)، و (تهافت الفلاسفة) والبسيط في الفقه الشافعي وغيرها. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٢-٣٤٦)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢ م.

([1]) إحياء علوم الدين (٨٣/١) لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار المعرفة – بيروت.



كيد المستعمرين، أخطاء المستشرقين[١] والمؤرخين، العقد النفسية، فساد المحيط"[٢]

كما نلاحظ خللاً في ممارسة التعلم، وأسلوب التعليم فيتدرب الشباب على استعمال العقل وحده في كثير من العلوم كالرياضة والطبيعة والفلك والمنطق والفلسفة، ويظنوا أن العقل هو الفيصل في جميع القضايا، ويبلغ بهم الحال إلى تقديس العقل وإطرائه، ومن ثمَّ تحكيمه في كل شيء دون تفرقة بين القضية التي يصلح للحكم فيها، وبين القضايا الأخرى التي يقصر عن إدراكها كأمور الغيب وما وراء الطبيعة.

وثمة عدة أوهام ارتبطت بالعقل المغرور، وحالت بينه وبين إدراك عجز العقل عن تناول جميع القضايا وضعف تمييزه بين الأمور ومن هذه الأوهام:

أ- الخلط بين المستحيل العقلي والمستحيل العادي وبينهما في الواقع فرق واضح، فالمستحيل العقلي هو الذي يترتب على فرض وجوده تناقض

---

(١) المستشرقون: هم العلماء الغربيون المشتغلون بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص١٨، د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف – القاهرة ، ط الخامسة ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: علماء وأعلام كتبوا بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية ج١ص٣٦٣ (مقالات الشيخ نديم الجسر)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.



عقلي، ولكن المستحيل العادي لا يؤدي فرض وجوده أو عدمه إلى التناقض، ولكن عادتنا هي التي جرت على اعتباره مستحيلاً في العادة[1].

فالمستحيل مطلقاً هو نفي أمر عن أمر، وينقسم إلى مستحيل شرعي ومستحيل عقلي ومستحيل عادي[2]، فالشرعي ما كان الحكم عليه بواسطة الشرع، والعقلي يكون الحكم عليه بواسطة العقل، فلا يمكن وجوده كمن يقول الجزء أكبر من الكل، أو اجتماع الطول والقصر في الشيء في الوقت ذاته، واستحالة وجود شريك لله في ملكه وسلطانه، إذ لو كان معه إله لحصل الاختلاف والتضارب بين الآراء وكان فساد الكون كما قال تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}[3]، وقال سبحانه: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}[4]، والمعنى: "لو كان معه إله لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به، ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخر، ولغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون، وحيث لم تروا أثر

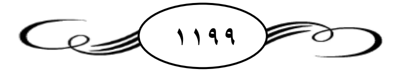
---

(1) ينظر: علماء وأعلام كتبوا بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية ج١ص٣٦٣ (مقالات الشيخ نديم الجسر).

(2) ينظر: المختصر المفيد شرح جوهرة التوحيد ص٢٠، د. نوح علي سلمان القضاة، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع- عمان – الأردن، ط الثالثة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(3) سورة الأنبياء : الآية ٢٢.

(4) سورة المؤمنون : الآية ٩١.



التمايز في الممالك والتغالب، فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء"[1]، فالمستحيل العقلي يستحيل وقوعه وإلا كان التناقض.

أما المستحيل العادي فهو الذي تحكم العادة والتكرار بنفي وقوعه، مثل كون الحديد لا يتمدد بالحرارة، والنار لا تحرق، فالذي حكم على النار بضرورة الإحراق عند مماسة الأشياء هو العادة، لكن يصح التخلف فالنار لم تحرق خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، فالمستحيل العادي يمكن وقوعه بخلاف المستحيل العقلي، فينبغي التنبه لهذا الفرق، وأرى أن من يخفى عليه هذا الفرق يكون فريسة للفكر الإلحادي، ولا تنتهي كبواته، لبعده عن المنهج العلمي.

ب- الخلط بين استحالة تعقل الشيء وصعوبة تصوره، وبينهما فرق كبير يجب التنبه إليه، فهناك أشياء تعقلها ممكن، ولكن تصورها صعب، فمثلاً ذبذبات الصوت التي أثبتها العلم وقدرها بأنها نصف مليون في الثانية، هذه حقيقة ثابتة وهي ممكنة في العقل ولكن تصورها صعب، فتجد الشباب عندما يصطدمون بصعوبة تصور الشيء يظنونه مستحيلاً، وهذا وهْمٌ يجب أن يحذر منه الشباب عندما يفكرون في مسائل الدين والإيمان[2].

وحتى يمكن معالجة هذا السبب فلابد أن يعترف الإنسان بقصور عقله، وعجزه عن تصور بعض الأشياء، فنحن نعلم أن السماء واسعة مع تسليمنا بعدم تصور اتساعها، فلا نستطيع الإحاطة بها مهما أغرقنا في

---

(1) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٩١).

(2) ينظر: علماء وأعلام كتبوا بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية ج١ص٣٦٣ (مقالات الشيخ نديم الجسر).



الخيال، وإذا عجزنا عن الإحاطة ببعض المخلوقات فكيف يحيط الإنسان بالخالق.

ج- الخلط بين النظر العقلي العام والنظر العقلي الخاص، بمعنى أن الشخص عندما يكون شيء ما ظاهراً أمام عقله يتصور أن هذا حكم العقل مطلقاً، ولا يفرق بين نظرته الخاصة والنظرة العامة التي تتفق عليها جميع العقول السليمة[١].

فالإنسان الواقعي ذو الفكر الصحيح والطبع السليم هو مَن يعترف بغيره، ويقر له بالفضل، فربما فاقه في الفكر إن امتاز الآخر بملكات عقلية وثقافية وعلمية قد لا تتوفر عنده، وقد يكون الآخرُ جمهوراً عريضاً وقطاعاً كبيراً من أهل المعرفة والعلم، فينبغي الرجوع إلى ما اجتمعوا عليه، متى ثبت خضوع فكرهم لقواعد المنهج العلمي الرصين.

د- عدم التفرقة بين الحقيقة العلمية المقطوع بصحتها والفرضية العلمية الخاضعة للبحث والقبول والرد، فيحاول بعض الشباب فهم الحقائق الدينية طبقاً لفروض العلم الحديث ونظرياته المحتملة جهلاً أو تجاهلاً لحقيقة الفرق بينهما.

فمن الخطأ الجسيم الخلط بين الحقائق الثابتة والنظريات المحتملة، فالفرض العلمي قابل للتجربة والأخذ والرد، بخلاف المسلَّمات التي ثبتت بالأدلة اليقينية والبراهين العقلية، ولا يتحمل الشباب مغبة هذا الخلط وحدهم، بل إن بعض المناهج والمقررات الدراسية تقدم بعض النظريات في صورة المسلمات، فيعتقد بها الشباب رغم زيفها، وهذا واضح في عرض النظرية

---

(١) ينظر: المصدر السابق ص٤٥-٤٦.



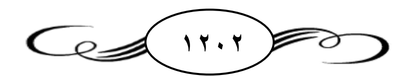
الداروينية(١) كمقرر دراسي مسلَّم به، دون التنبيه على ثبوت خطأها، ومخالفتها لبدء الخليقة الوارد في القرآن الكريم، فكيف ارتضت لجان المناهج والمقررات تدريس مثل هذا الهُراء لأبناء المسلمين!!.

ولم يقتصر الأمر على إطراء العقل بل كان من أسباب ظهور الإلحاد في العصر الحديث الافتتان بالعلوم التجريبية، والانبهار بالتجارب المعملية، ووصل الغلو في المنهج التجريبي(٢)، أن جعلوه مقياساً عاماً، ومعياراً وحيدا لكل القضايا رغم اختلافها وتنوع ميادينها، فلم يحتكموا إلى غيره من المناهج بل وصل بهم الشطط إلى إنكارها، ومن ثم أنكروا كل شيء لم يخضع للمنهج التجريبي، وتجاهلوا كل حقيقة لا تنسجم مع التجربة ولا تتماشى مع المشاهدة، فألبسوا الحق بالباطل، واستبعدوا الغيبيات لعدم إدراكها بالحس، وهم بذلك أبعدوا النجعة وخبطوا خبط عشواء، فتراهم يصدقون بأمور وأشياء غائبة عنهم بمجرد السماع، فيقطعون بوجود بلدة أو مدينة أو شخص أو حال دون معاينته بل بما سمعوا من الأخبار؛ لأنها قد تواترت لديهم، وينكرون الأخبار اليقينية التي جاء بها الوحي المعصوم مع

---

(١) الداروينية: تطلق على مذهب التحول أو التبدل وهو القول بأن الأنواع تنشأ بعضها عن بعض، ولا سيما النوع الانساني فهو منحدر عن الأنواع الحيوانية التي ترجع إلى أصل واحد أو عدة أصول. ينظر: المعجم الفلسفي (١/ ٥٥٦).

(٢) المنهج التجريبي هو طريق البحث القائم على التجربة وهي أن يلاحظ العالم ظواهر الطبيعة، في شروط معينة، بهيئتها بنفسه، ويتصرف فيها بإرادته. ففي كل تجربة ملاحظة، إلا أن الفرق الوحيد بينهما هو أن الملاحظ يشاهد الظاهرة كما هي عليه في الطبيعة، في حين أن المجرّب يشاهدها في ظروف يهيئها بنفسه. وغايته من ذلك الوصول الى قانون يعلل به حوادث الطبيعة. ينظر: المعجم الفلسفي (١/ ٢٤٣-٢٤٤).



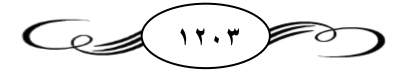
ثبوت تواتره واستفاضة شهرته، وتمام حفظه وتيسير ذكره، وما يكذبون به إلا إرضاءً لأرباب فكرهم الذين رفعوا شعار المادية وعادوا الأديان وأنكروا الأمور الغيبية.

**رابعاً: العُقَد النفسية**(١)

إذا كان الانبهار بالحضارة الغربية والتأثر بالغزو الفكري والافتتان بالعقل والعلم التجريبي قد تسبب في ظهور الإلحاد بالعلم الإسلامي، فثمة عوامل نفسية ساعدت على ظهوره وكثرة أتباعه، فالإصابة بالعُقد النفسية تدفع المصابين إلى إنكار المسلمات، ورفض البدهيات، حيث يغلب عليهم الشذوذ السلوكي والانحراف الفكري، وأغلب هذه العُقد يتولد لدى الشباب حين يصطدم بكبَد الحياة، وضنك المعيشة، ومُرِّ الهموم، حيث أعرض عن مولاه، وابتعد عن طاعته، وانخرط في المعصية، واتبع الشهوات، وأعرض عن الذكر، فحلَّ به الشقاء وأصابه الضنك، قال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}(٢)، والمعنى: "من خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، وأعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه، فإن له معيشة ضنكا في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعَّم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن

(١) العقدة جملة من التصورات والانفعالات المكبوتة الناشئة عن خبرات صراعية ذات شحنة وجدانية كبيرة. وهي وإن كانت لا شعورية إلا أنها تؤثر في تفكير الشخص، وتطبع سلوكه بطابع الانحراف والشذوذ. ينظر: المعجم الفلسفي (٢/ ٨٣).

(٢) سورة طه: الآيتان ١٢٣-١٢٤.



حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة"(١).

فهذه الآيات تصور في براعة حالة الكبت التي تصيب كل من أعرض عن منهج الله، وثار على أوامره وأخباره، فيظل حائراً تائهاً تتلاطمه أمواج الكفر والإلحاد.

ويُعَدُّ الكبت(٢) من العقد النفسية التي تصيب بعض الشباب؛ فتُحدث لهم إحجاماً عن ممارسة الشعائر الدينية، وينشأ الكبت بسبب الأسلوب القاسي الذي يوجِّه به بعض الآباء والمعلمين الأولاد لممارسة الشعائر، وكثير من الشباب تكون له مزالق وهفوات وزلات، فيسمع من الواعظ ألوان العذاب المترتب على فعل المنكرات، دون أن يبين الواعظ طريق الخلاص وسبيل التوبة "فيتكون عند الشباب عقدة القنوط واليأس والشعور بالفشل، فيزداد إمعاناً في البعد عن ممارسة الشعائر الدينية، وتكون لذة التنفيس عن

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٢٢)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) الكبت: اصطلاح نفسي حديث مشتق من كبت الغيظ، تقول: كبت فلان غيظه في قلبه، أي لم يخرجه. ويطلق الكبت على العملية النفسية اللاشعورية التي يقصي بها المرء بعض تصوراته وعواطفه المؤلمة، ورغائبه المحرمة، عن ساحة الشعور الواضح ليخفيها في العقل الباطن أي في اللاشعور. وتتم هذه العملية بغير إرادة، أو تتم في أكثر الأحيان بغير علم. فإذا تمت بإرادة وعلم سميت كبحا لا كبتا. ينظر: المعجم الفلسفي (٢/ ٢٢٣).



نفسه إما بالجدل[١] في الإلحاد أو بالاستهزاء بالشعائر أو بجر الرفاق والزملاء إلى الانزلاق"[٢].

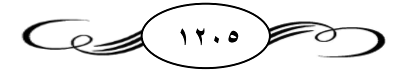
فالتنطع في الدين وتضييق الواسع وتحجُّر الفكر من العوامل التي تؤدي إلى النفور من الدين وضوابطه، وحالة النفور هذه تتأجج وتقوى إذا ضاق الأفق عن الفهم، وغاب العلم بفقه الخلاف بين المجتهدين، فيعتقد الناس أن الفكر المتشدد إنما هو الدين، فيجترئون على المخالفة العملية، ثم يقودهم هذا إلى رفض الدين وإنكار تعاليمه، فكان الإلحاد ردة فعل نفسية من التشدد الديني والاجتماعي.

وأرى أنه من الضروري قبل تكليف الصبية والشباب بأداء الشعائر، أن يعلموا الأهمية البالغة للشعيرة التي يمارسونها، وذلك بأسلوب الترغيب وطريق التشويق، كما أرى أن الطريقة المُثلى في دعوة الشباب تستلزم الرفق واللين، وفتح باب الرجاء إذ دواعي المعاصي عند الشباب أقوى من غيرهم، فعلى الداعية والواعظ أن يحسن انتشالهم من المنكرات بالرحمة والمحبة والأُنس والمصاحبة.

---

(١) الجدل: قياس مؤلَّف من مقدمات مشهورة، أو مسلَّمة، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، والجدل في الأصل فن الحوار والمناقشة. كما يطلق على موقف الفكر الذي يقرر أن حكمه على الأشياء لا يمكن أن يكون نهائيا، وان هناك بابا مفتوحا لإعادة النظر فيها دائما. ينظر: المعجم الفلسفي (١/ ٣٩١-٣٩٤).

(٢) ينظر: علماء وأعلام كتبوا بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية ج١ ص٣٦٦-٣٦٧ (مقالات الشيخ نديم الجسر).



## خامساً: الجفاف الروحي وفقدان القدوة

إن الإلحاد ليس وليد لحظة، ولا يشوب عقيدة الإنسان بغتة، وإنما هو نتاج إهمال طويل لشعائر الدين واستخفاف به، وبُعد كبير عن القرآن ومقاطعة لمجالس الذكر، وثمرة فاسدة لصحبة أهل الغي والهوى، فالانتقال من الإيمان[1] إلى الكفر[2] لا يكون طفرة بل هو نهاية لسلسة من المخالفات والمحرمات، وارتكاب للكبائر والموبقات، فتجتمع كلها لإضعاف الإيمان، والاستئناس بالمعاصي، والتشبث بها، لهذا قال الحافظ ابن حجر: "إن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره، وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب، ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر[3]، والمجترئ على

---

(1) الإيمان لغةً: التصديق، واصطلاحاً: الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى. ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٣١٤، وزارة الشؤون الإسلامية، ط الأولى ١٤١٨هـ، وهذه الفقرة وما يعقبها من بنات أفكار الباحث وصياغته وهكذا كل ما اشتمل عليه البحث من تعليق خالٍ من علامات التنصيص أو الأقواس.

(2) الكفر في اللغة: الستر وتغطية الشيء تغطية تستهلكه. وقال الليث: يقال إنما سمي الكافر كافرا لأن الكفر غطى قلبه كله، واصطلاحاً : خلاف الإيمان وهو عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه ضرورة. ينظر: لسان العرب (٥/ ١٤٥)، المواقف (٣/ ٥٤٦)، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، دار الجيل – بيروت، ط الأولى، ١٩٩٧م.

(3) الكبائر جمع كبيرة وتطلق على كل ذنب قرن به وعيد أو لعن بنص كتاب أو سنة أو علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو حد أو لعن أو أكثر من مفسدته أو أشعر بتهاون مرتكبه في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها بذلك كما لو قتل من يعتقده معصوما فظهر أنه مستحق لدمه أو وطيء امرأة ظنا أنه زان بها فإذا هي زوجته ==



العظائم، فيهجم عليه الموت بغتة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، فقد يكون ذلك سببا لسوء الخاتمة فهذا محمول على الأكثر الأغلب"(١).

فانقلاب الإنسان من الإيمان إلى الكفر لا يكون إلا في أضيق الأحوال، وهو محمول على من أصرَّ على الكبائر، وقام بالفرائض تكاسلاً ورياءً، فيُظلِم القلب بخُبث القصد، وسوء العمل، وحينها لا يشعر بحلاوة الطاعة لأن الروح قد أسنت، فيفقد طعم الإيمان، ولذة الطاعة، ونور اليقين، ويجره هذا تحت ضغط الوسوسة والغواية إلى الثورة على الحقائق والمسلمات التي كبرت عليه، ورفض الانصياع لضوابطها، وتمرَّد عليها لعجزه عن تقبلها والإيمان بها، والاستقامة عليها.

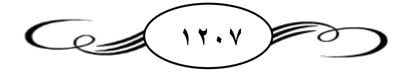
ومن المقرر أن أرباب البصر المقلدين أكثر من أرباب البصيرة المثقفين، فمن ينظر إلى العمل والحال وهم عوام الناس، دائرتهم أوسع بكثير ممن يتدبر العلم ويعتبر بالمقال وهم خواص الناس ذوي العلم والثقافة، ولا شك أن فقدان القدوة الصالحة في أغلب الدوائر العلمية والتربوية المحيطة بالشباب سبب في ضعف الإيمان والجرأة على الإلحاد؛ لأن فقدان القدوة الحسنة في بعض الدعاة يُفقد الثقة فيهم أمام الناس، ثم يؤدي إلى رفضهم ورفض ما جاؤوا به، ويدور على ألسنة الشباب والنشء هذا الافتراض: لو

---

==

أو أمته. ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٣)، لابن حجر الهيتمي، المكتبة العصرية، لبنان / صيدا – بيروت ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(١) ينظر: فتح الباري (١١/ ٤٨٩-٤٩٠)، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.



كان ما يردده الداعية حقاً لكان من المصدقين به والعاملين بمقتضاه ! ، وبهذه الحال يصير الداعية عقبة في طريق الدعوة فيعزف الناس عنه، ويحجمون عن فكره، ويرتابون في دعوته، ويظهر التردد والشك عند بعضهم، فيرفضون الحق لقُبح حامله، ويخرجون من الدين فراراً من سدنته.

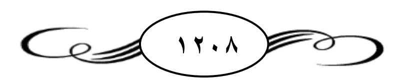
### سادساً: الضعف العلمي والفراغ الفكري

إن السلاح الماضي والسيف البتار لكل شبهة وانحراف فكري، هو الاعتصام بالكتاب والسنة، والاعتماد عليهما في رعاية شئون الدين والدنيا، ولا يتم هذا إلا بالعلم بهما أولاً، فيلزم كل مسلم أن يتعلم القرآن والسنة على يد المتخصصين، وهذا هو دأب المسلمين منذ عصر صدر الإسلام، فكان الجمع بين العلوم الشرعية التي هي من فروض الأعيان، كعلم التوحيد والفقه والتفسير وغيرها، وبين العلوم الطبيعية التي هي من فروض الكفايات، فنبغ بين المسلمين علماء الكون والطبيعة والأحياء فكان منهم الطبيب كأبي بكر الرازي[1]، والجغرافي كالإدريسي[2]، والرياضي

---

(١) أَبُو بَكْر محمد بن زكريا الرَّازِي (٢٥١ - ٣١٣ هـ ): ولد وتعلم بالري. وسافر إلى بغداد، نظم الشعر في صغره. واشتغل بالكيمياء، ثم عكف على الطب والفلسفة في كبره، فنبغ واشتهر. وتولى تدبير مارستان الريّ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه، ودونهم تلاميذهم، ودونهم تلاميذ أخر، فيجئ المريض فيذكر مرضه لأول من يلقاه، فان كان عندهم علم وإلا تعداهم إلى غيرهم، فإن أصابوا وإلا تكلم الرازيّ في ذلك. عمي في آخر عمره. ومات ببغداد. له تصانيف كثيرة منها (الحاوي في صناعة الطب). ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٣٠).

(٢) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإِدْرِيسي (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ) : مؤرخ، من أكابر العلماء بالجغرافية. من أدارسة المغرب الأقصى. ولد في سبتة ونشأ وتعلم بقرطبة. ==



كالخوارزمي[١]، والفيزيائي كابن الهيثم[٢]، وغيرهم كثير وقد أخذ عنهم العالَم أجمعُ ما سبقوا إليه من حقائق، وما وصلوا إليه من اختراعات، وهؤلاء كانوا أهل علم بالفقه وغيره، يُفهم من هذا ألا تعارض بين علوم الدين وعلوم الدنيا، فكلها نافعة للخلق كلهم، والعلم في الإسلام كما ينفع في الدنيا لا ينفك عن الثواب في الآخرة، إذا ابتغي به وجه الله وبلوغ الخير للناس.

ومع هذا فإن أعداء الإسلام حين تمكَّنوا من بلاد المسلمين، وتحكَّموا في مصيرها أثناء الاحتلال جفَّفوا منابع التعليم الديني بين أبناء المسلمين، وجعلوا العلوم مادية اللهم إلا معلومات طفيفة عن الإسلام وعلومه وتاريخه ورجاله، فأفرز كل هذا درساً لمعالم الدين ومسخاً لتعاليم الإسلام لدى الكثير من أبنائنا، وبقي الأزهر الشريف جامعاً وجامعةً حامل لواء العلم ورائد

==

ورحل رحلة طويلة انتهى بها إلى صقلّيّة، فنزل على صاحبها روجار الثاني ووضع له كتابا سماه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) أكمله سنة ٥٤٨ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٢٤).

(١) منصور بن علي بن عراق الخوارزمي، رياضي، منجم، عاش أكثر أيامه في خوارزم، وأخذ عنه أبو الريحان البيروني، وتوفي في حدود ٤٢٥ هـ، من آثاره: كتاب المجسطي، رسالة في الاسطرلاب. ينظر: معجم المؤلفين (١٣/ ١٧)، لعمر بن رضا... كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم البصري، نزيل مصر عالم مشارك في العلوم الطبيعية والرياضية والطبية والفلسفية، ولد بالبصرة حوالى ٣٥٤ هـ، ونشأ بها وبنواحيها وسافر إلى بلاد كثيرة، وتوفي بالقاهرة سنة ٤٣٠ هـ، من تصانيفه: كتاب المناظر، الجامع في أصول الحساب، ومقالة في الضوء. ينظر: معجم المؤلفين (٣/ ٢١٥– ٢١٦).



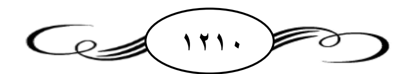
التعليم الديني بمصر والعالم الإسلامي والعربي، رغم ما كيد ويُكاد له من مؤامرات، أضعفته لكنه سرعان ما يقوى وينهض بما يبعث الله له من يجدده من العلماء والباحثين، ولا ننسى بعض الجوامع والجامعات الأخرى كالزيتونة(١) والقرويين(٢) وغيرها، التي حافظت على هويتها وطوَّرت مناهجها على غرار الأزهر لتوائم العصر الحاضر.

ونظراً لتحكُّم المستعمرين في مصير الأمة، وبثِّهم السموم في مناهج التعليم، ظهر على مر الزمان أجيال خاوية الفكر، مضطربة الفهم، جاهلة بالإسلام، وقد انتابتها حالة من الفراغ الفكري، وأصبحت الأجيال في حاجة

---

(١) تأسس جامع الزيتونة بتونس عام ١٢٠هـ/٧٣٧م تحت حكم الأمير الأموي عبيد الله بن الحبحاب، وقدم الدروس الدينية بجانب الدراسات الأدبية ورغم تاريخ تعليمه طوال تلك القرون، إلا أنها كجامعة تعتبر أصغر جامعة تونسية من حيث عدد طلابها الذي وصل لنحو ١٥٧٣ طالباً طبقاً لإحصائيات العام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠م لكنها أخرجت رموزاً كابن خلدون والطاهر ابن عاشور. انظر: مجلة التحرير الإلكترونية، مقال بعنوان "الزيتونة والقرويين والأزهر أقدم الجامعات العربية في العالم" نشر بتاريخ ٢٥/٢/٢٠١٦م.

(٢) تأسس جامع القرويين بالمغرب سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م، وقامت بتأسيسه امرأة صالحة مباركة اسمها فاطمة، وتكنى أم البنين بنت محمد الفهري القيرواني أتت من إفريقية (تونس) مع أختها وزوجها فسكنوا بالقرب من موضع القرويين، فتوفي زوجها وأختها، فورثت منهما مالًا جسيمًا حلالًا طيبًا ليس فيه شبهة لم يتغير ببيع ولا شراء، فأرادت أن تصرفه في وجوه البر وأعمال الخير، فاشترت موضع القرويين وأتمت بناء المسجد. انظر: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص٥٤،٥٥ ، لعلي ابن أبي زرع الفاسي، دار الطباعة المدرسية، أوبسالة ١٨٢٣م، دار المنصور، الرباط ١٩٧٢م.



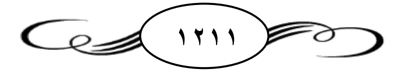
إلى مِلء الفراغ "فقرأوا النزاع الذي حدث بين المفكرين ورجال الدين في أوروبا، والذي انتهى ببعض المفكرين إلى الشك[١] ووصل إلى الكفر والإلحاد، وبلغ الكفر والإلحاد أَوْجَهُ في الماركسية، فاحتقروا الشعائر وحاربوا الدين ورجاله، فقلَّد الشباب الذين هم في فراغ فكري الحركة الفكرية الغربية، واعتنق بعضهم الماركسية، وساعدت على ذلك المشاكل الاقتصادية التي وجدت في العالم الإسلامي"[٢].

وقد عمل هذا الضعف العلمي والخواء الفكري إلى وجود نزعة سلوكية لدى بعض الناشئين (وهي التخلي عن شعائر دينهم وعزة أمتهم باسم التقدمية وخوفاً من أن يوصفوا بالرجعية، فإذا ضمهم مجلس مع أبناء الغرب أو المستغربين، أظهروا أنهم لا يبالون بشعائر الدين، واستخفوا بالصلاة واستهزأوا بالصوم، والباعث لهم على ذلك هو خوفهم من الوصف بالرجعية، وربما انتسب الواحد منهم إلى فرقة رياضية أو كشفية صغيرة أو حزب سياسي هزيل أو ضرب عقائدي ملحد، وتعصب لما ينتسب إليه تعصباً شديداً، ولكنه يستخزي ويعتقد أن دينه معيرة يعير بها، والسبب في التخاذل والسلبية هو جهل شبابنا بتاريخ أمتهم الإسلامية والأمجاد التي تملؤه، والسبب أنهم يقرءون تاريخ الإسلام مشوهاً في كتب المستشرقين الذين كتبوا هذا التاريخ وهم ليسوا مجردين من أسباب العاطفة القومية والدينية، ومن

---

(١) الشك هو التردد بين نقيضين لا يرجح العقل أحدهما على الآخر، وذلك لوجود أمارات متساوية في الحكمين، أو لعدم وجود أية امارة فيهما. ويرجع تردد العقل بين الحكمين إلى عجزه عن معاناة التحليل أو إلى قناعته بالجهل. ينظر: المعجم الفلسفي (١/ ٧٠٥).

(٢) ينظر: جهود المفكرين المسلمين في مقاومة التيار الإلحادي ص٤٨.

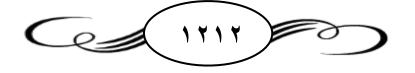


رواسب الأحقاد، أو على الأقل من غشاوات الجهل لتاريخ العرب والإسلام، فأبرزوا القليل من الأمجاد، والكثير من مخازي بعض الملوك والخلفاء، ونسبوا تلك المخازي إلى دين الإسلام)[١].

وما جرَّهم إلى هذا إلا الجهل بتاريخ الإسلام الحافل وما قدَّم المسلمون للعالم من فكر متزن، وعقيدة صافية من الخرافة، وعلوم طبيعية ومادية، وأنظمة سياسية عادلة لا يجود الزمان بمثلها، وقوانين ومناهج تقيم الحياة على الفضيلة، وسماحة بين سائر الشعوب على اختلاف الأعراق واللغات والألوان تشتهيها الشعوب الحاضرة، ويلهث وراءها العالم المتحضر، ثم لا يلبث أن يرجع صِفْر اليدين خاوي الوفاض.

---

(١) ينظر: جهود المفكرين المسلمين في مقاومة التيار الإلحادي ص٤٨-٤٩ بتصرف يسير.



## المبحث الثاني: سبل مواجهة الإلحاد والوقاية من مخاطره

بعد أن ذكرت الأسباب والعوامل التي أدت وتؤدي إلى ظهور الإلحاد في العالم الغربي والإسلامي يحتم علينا البحث أن نناقش هذه الأسباب لتقديم العلاج الذي يقضي على السبب، ولا يقتصر على معالجة العرض، بل تُقطع الشجرة من جذرها عند إرادة زوالها، ويمكن بيان سبل مواجهة الإلحاد فيما يلي:

### المطلب الأول: الدعوة إلى توحيد الله وتوثيق عُرى الإيمان

الإنسان يعيش في هذه الأرض وسط نعمٍ وفيرة وآيات عظيمة تشهد بوجود الله ووحدانيته، لكن الغفلة التي تعتري الإنسان تجعله يطغى، ويعرض عن النظر في الآيات، ويضلُّه الشيطان ويزين له اتباع الهوى والبعد عن الهدى، فيصل الأمر بالإنسان الذي طالت غفلته، وطغت نفسه وتكبرت إلى إنكار المسلمات والبدهيات، فبدهي أن كل حادث مخلوق لابد له من محدِث، ومن قال بخلاف ذلك فقد خالف المنطق، وصادر العقل، فالإنسان إذا رأى صنعة بادر بالسؤال عن صانعها، فهلا سأل الإنسان عن خالق السماوات والأرض، الذي أحسن كل شيء خلقه، وإن سأل عن خالقها، لم يجد إلا الله المتفرد بالخلق والتصوير، فعلى مدار التاريخ الإنساني لم يدَّعِ أحد أن لله شريكاً في الخلق، ولو ادَّعى أحد ذلك فليخلق حبة أو شعيرة، وهو أمر مستحيل عقلاً وطبعاً وعادةً، لأنه ثبت عجز الخلق قاطبة عن خلق ذبابة أو بعوضة، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا

لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }[١].

والمعنى : "إن ما تعبدون من غير الله من الأصنام والأنداد، لن يقدروا على خلق أتفه شيء، ولو ذبابة واحدة أو بعوضة، حتى ولو اجتمع لهذه المهمة جميع تلك المعبودات وعابديها، وكما أنها عاجزة عن خلق ذبابة واحدة، فهي عاجزة عن مقاومة الذباب والانتصار منه، فإن يسلبها الذباب شيئا مما عليها من الطيب الذي كانوا يضمخون به أوثانهم، لم يقدروا على استنقاذه منها، علما بأن الذباب أضعف مخلوقات الله، لذا قال تعالى: ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ أي عجز الطالب وهو الإله المعبود من دون الله، أي الصنم، من استنقاذ الشيء المسلوب من الذباب المطلوب، أو ضعف عابد الصنم والصنم المعبود"[٢].

فالله تعالى رب العالمين خالق الخلق ومالكهم ورازقهم ومدبر أمرهم وحده... ، فلا يستحق العبادة إلا هو، ولو شاء لجعل الخلق كلهم مؤمنين، لكنه تعالى خيَّرهم بين الكفر والإيمان، قال سبحانه: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[٣]؛ ليستحق المؤمن الثواب، ويستحق

---

([١]) سورة الحج: الآية ٧٣.

([٢]) التفسير الوسيط (٢ / ١٦٧٠)، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط الأولى – ١٤٢٢هـ.

([٣]) سورة الكهف: من الآية ٢٩.



الكافر العقاب، وقد جاءت الرسل جميعا، لإقرار حقيقة التوحيد، وردِّ الناس إلى الفطرة[1] بعد انتكاس فطرهم وإضلال الشياطين لهم.

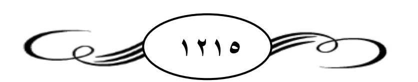
وقد أذعن العقلاء وسلَّم الحكماء بأن للكون خالقاً واحداً، له من الصفات أكملها ومن الأسماء أحسنها وقديماً "قال أفلاطون[2] لتلميذه أرسطو: ما الدليل على وحدانية الله تعالى؟ فقال: ليس شيء من خلقه بأدلَّ عليه من شيء، وسُئل سقراط[3] عن دلالة الصانع، فقال: دلّ الجسم على

---

([1]) الفطرة: يقصد بها ذلك الشعور الغامر الذي يملأ على الإنسان أقطار نفسه، إقراراً بخالقه، وتألهاً له، والالتجاء إليه لا يستطيع دفعه ولا يملك رَدّه، فهو أشد رسوخاً في النفس من مبدأ العلم الرياضي كقولنا:إنَّ الواحد نصف الاثنين. ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا:إن الجسم لا يكون في مكانين. وغير ذلك من الحقائق والمسلمات، وتوحيد الله سبحانه وتعالى أمر فطري حيث قال تعالى:(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) سورة الروم:٣٠.. ينظر: العقيدة في الله (ص: ١١٥)، إعداد: د. صالح الرقب، د. محمد حسن بخيت (الجامعة الإسلامية – كلية أصول الدين– غزة– فلسطين)، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.

([2]) أفلاطون (٤٢٨–٣٤٧ ق.م): فيلسوف يوناني يُعدُّ هو وأستاذه سقراط وتلميذه أرسطو واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية، معظم مؤلفاته محاورات عالج فيها موضوعات مختلفة كالرياضيات والسياسة والتربية والحب والصداقة والفضيلة، وأشهر محاورات أفلاطون كتاب "الجمهورية" رسم فيه صورة للمدينة الفاضلة كما تخيَّلها، معلناً ألا صلاح للجنس البشري إلا إذا أصبح الفلاسفة حكاماً أو أصبح الحكام فلاسفة . ينظر: معجم أعلام المورد ص٦٠.

([3]) سقراط (٤٧٠–٣٩٩ ق.م): فيلسوف يوناني قال: بأن الفضيلة هي المعرفة، ولم يترك أي أثر مكتوب، كان من دأبه التجول في الشوارع والأسواق يتحدث إلى الشبان والشعراء والسياسيين عن الخير والشر، سُجن وهو في السبعين وحُكِم عليه بالموت بتهمة
==



صانعه فجمع بهذه اللفظة دلالة حدوث العالم، فإن صانعه حكيم، ونظر أعرابي إلى الناس في يوم الجمعة فقال: صورة واحدة وخلق مختلف، ما هذا إلا صنع رب العالمين"[1].

وقال أبو نواس[2] في هذا المعنى:

**أيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد**

**ولله فـــي كـــل تحريـكة ... وتسكينة فاعلمن شاهد**

**وفي كل شـــيء لــــه آيـــة ... تدل على أنه واحـد**[3].

وقد خلق الله الإنسان على الفطرة وهي الإسلام قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ

---

==

"إفساد شبان أثينا" و "ازدراء الآلهة"، وقد توسَّل إليه أصدقاؤه أن يفر من السجن ناجياً فأبى، وشرب السُّمَّ في حضرتهم. ينظر: معجم أعلام المورد ص٢٣٩.

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/٤١٠)، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠ هـ.

(٢) أَبُو نُوَاس الحسن بن هانئ (١٤٦ – ١٩٨ هـ ): شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيه. قال الجاحظ: ما رأيت رجلا أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس، وقال الإمام الشافعيّ: لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم. ينظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٥).

(٣) المحاسن والأضداد (١ / ١٦٨)، لأبي عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.



الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[١]، وظل الناس يعبدون الله وحده لا يشركون معه غيره، حتى ظهرت عبادة الأوثان ظناً منهم أنها تقربهم إلى الله فجعلوها لله أنداداً، ومع كونهم مشركين إلا أنهم لم يشكوا في وجود الله، وخلقه للكون وتدبيره قال الله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}[٢]، وظل الناس على الإيمان بالله فاطرِ السماوات والأرض ربِّ كل شيء ومليكِه، ولم يشذ عن ذلك إلا شذاذاً عبر التاريخ لا يعتد بخلافهم، ولا يلتفت لهم، إذ أنهم خالفوا الفطرة السليمة ورفضوا حكم العقل، وحكَّموا أهواءهم، فأتوا بمنكر من القول، وخبل من الفكر وضرب من الجزاف والوهم.

وقد ردَّ الله على من قال مقالة الملحدين في غير آية من كتاب الله فقال سبحانه: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}[٣].

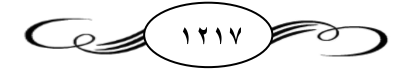
قال الفخر الرازي: حكى سبحانه وتعالى عن المشركين شبهتهم في إنكار الإله القادر الفاعل المختار، في قولهم (وما يهلكنا إلا الدهر) يعني تولد الأشخاص إنما كان بسبب حركات الأفلاك الموجبة لامتزاجات الطبائع، وإذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة، وإذا وقعت على وجه آخر حصل الموت، فالموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك، ولا حاجة في هذا الباب إلى إثبات الفاعل

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٩.

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٤.



المختار، ثم قال تعالى: (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) والمعنى: قبل النظر ومعرفة الدليل الاحتمالات بأسرها قائمة، فالذي قالوه يحتمل وضده أيضا يحتمل، وذلك هو أن يكون القول بالبعث والقيامة حقا، وأن يكون القول بوجود الإله الحكيم حقا، فإنهم لم يذكروا شبهة ضعيفة ولا قوية في أن هذا الاحتمال الثاني باطل، ولكنه خطر ببالهم ذلك الاحتمال الأول فجزموا به وأصروا عليه من غير حجة ولا بينة، فثبت أنه ليس علم ولا جزم ولا يقين في صحة القول الذي اختاروه بسبب الظن[١] والحسبان وميل القلب إليه من غير موجب[٢].

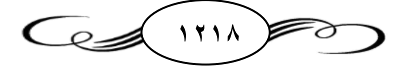
فإذا تضافرت الأدلة وتكاثرت لإثبات وجود الله تعالى وفاعليته وتدبيره وجب الإذعان به والتسليم له، وترك ما أصله الظن وسنده الحدس وطريقه التخمين.

وكانت إجابة الرسل أقوامهم حينما جحدوا ما جاؤوا به من عند الله، وكفروا بربهم إجابة فيها الاستنكار من قولهم والتعجب من مسلكهم فقالوا على سبيل الإنكار والتهكم: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ

---

(١) الظن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك. وقيل: الظن: أحد طرفي الشك بصفة الرجحان. والمظنونات آراء يقع التصديق لها لا على الثبات، بل يخطر إمكان نقيضها بالبال، ولكن الذهن يكون إليها أميل، فان لم يخطر إمكان نقيضها بالبال فهو معتقد. ينظر: التعريفات (ص: ١٤٤)، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، ط الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ، المعجم الفلسفي (٢/ ٣٤).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/٧٦٨).



لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}[١]، فالاستفهام للإنكار والمعنى: انما ندعوكم الى الله وحده وهو أمر لا يحتمل الشك لدلالة كل شيء من المحسوسات والمعقولات على وجوده ووحدته وأشاروا الى ذلك بقولهم فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْض[٢].

مما سبق يتضح أن الإيمان بالله غريزة فطرية لا تصلح الحياة بدونها ولا تكون السعادة حال غيابها، وبالتالي فيجب على المؤمن أن يقدر هذه النعمة فيحفظ إيمانه من غوائل الشبهات وأدران الإلحاد، ويكون ذلك بالتذكير الدائم بقدرة الله تعالى وعظمته وجبروته وعزته وغناه وهيمنته، كما يكون باستشعار جليل النعم وبيان افتقار الإنسان إليها، ليظل ذليلاً خاشعاً منيباً خاضعاً، كما يلزم المسلم دعوة غيره إلى الله وتعريفه بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، وأن يذكِّر بالقرآن ويحسن عرض أدلته، ويتقن تقديمها للناس بأسلوب عصري يتوافق مع واقعهم الفكري ومستواهم الثقافي.

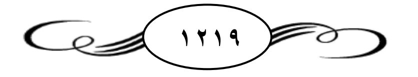
## المطلب الثاني: دور الأسرة والمجتمع في تحصين النشء

لا يخفى أن للأسرة دوراً كبيراً في التربية الدينية الحكيمة والتنشئة الاجتماعية السليمة؛ والفئة المستهدفة من الأسرة هي الأطفال والنشء، فيظهر أثرها الكبير في سلوك النشء، فزمن البلوغ إلى مرحلة الشباب "هو الموسم الأعظم الذي يقع فيه جهاد النفس والهوى وغلبة الشيطان، وبصيانة هذا الموسم يحصل القرب من الله عز وجل، وبالتفريط فيه يقع الخسران

---

(١) سورة إبراهيم: من الآية ١٠.

(٢) التفسير المظهري (٢٥٧/٥)، محمد ثناء الله المظهري، مكتبة الرشدية، الباكستان، ١٤١٢هـ.



العظيم، وبالصبر فيه عن الزلل يُثنى على الصابرين، كما أثنى الله فيه على الصابر يوسف الصديق؛ إذ لو زل من كان يكون؟"[١].

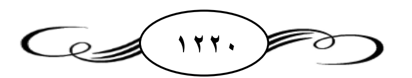
ففي هذا المرحلة العمرية يكتسب الأبناء القيم الأخلاقية والمعايير الاجتماعية من خلال البيئة التي ينشؤون فيها، ويشبون على أصولها وعاداتها وتقاليدها، فهي التي تشكل شخصية الفرد، ومما يزيدها أهمية أن التعليم فيها يعتمد على التقليد والمحاكاة، فما يراه الناشئ يحاكيه، وبمرور الوقت يصبح طبعاً فيه وجزءاً من حياته، وعلى هذا فلو نشأ في بيئة منحلة يسودها الفكر الباطل والتقليد الأعمى، كوَّنت تلك البيئة إنساناً قلما يجنح إلى الهدى ويخالف ما درج عليه قومه، إلا من عصمه الله وحفظه.

وعلى النقيض فلو نشأ في بيئة ديِّنة تعرف ربها حقاً وتصلح صلتها به حباً، وتدعوه خوفاً وطمعاً، وتقيم دينه شكراً، فلا شك أن نتاج هذه البيئة يكون عضواً صالحاً وفتىً نافعاً، إلا من شذَّ عن أصله، وخان معدنه، وخالف ربه وأرضى نفسه، فالإنسان ابن بيئته يرتوي من المجتمع الذي نشأ بين جنباته، ويستمد من أخلاق أهله وطباعهم، فإما أن يرقى وإما أن يسقط، فالفرع شبيه بأصله يقلده ويحاكيه وصد ق المعرِّي[٢] في قوله:

---

(١) مواسم العمر (١/٤٥)، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) أَبُو العَلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المَعَرّي (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ): شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. كان نحيف الجسم، أصيب بالجدريّ صغيرا فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. ورحل إلى بغداد ==



**أمَـــا تـــدري أبـــانا كـــلُّ فـــرعٍ ... يجاري بالخُطى من أدبـــوه؟**

**وينشَـــأُ نـــاشـــئُ الفـتيـــانِ منـــا ... عـــلى ما كـــان عـــوَّدَه أبـوه**

**وما دانَ الفتى بحجىً، ولكن ... يُعـــلِّمُـــهُ التـــديُّـــنَ أقـــربوهُ**[1].

وإذا كانت الأسرة تُسهم بنصيب كبير في تحصين النشء من الأفكار الوافدة والمذاهب المنحرفة، فإن الهيئات التعليمية لها دور واضح في هذا المضمار؛ متى قامت بعرض القضايا الفكرية المختلفة وتناولتها بأسلوب ينهض بالفكر ويرقى بالعقل، وأجابت عن ما يطرأ على ذهن الطالب من أسئلة واستفسارات، وأمدته بثقافة أصيلة، فإذا قامت الهيئات العلمية بدورها عملت على إعداد فكرٍ متزن، وعقلٍ واعٍ، وذهن متَّقد، يخوض غمار البحث العلمي، ويقوى على نقد ما شذَّ من الأفكار والآراء.

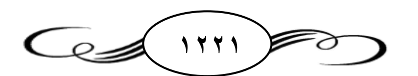
وهكذا فالتربية السليمة القائمة على أسس الإيمان وأصول الأخلاق ونور العلم، تلعب دوراً كبيراً في إعداد جيل معتزٍ بأمته محافظٍ على هويته حريص على عقيدته، ومن ثمَّ فهي خير ما ينقذ الشباب مما أصاب بعضهم من انحراف وانحدار.

---

==

سنة ٣٩٨هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر. وهو من بيت علم كبير في بلده. ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعرا يرثونه. ينظر: الأعلام للزركلي (١/١٥٧).

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ١/١٠، ٨/٢١٦، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب، بدون.



## المطلب الثالث: التصدي لشبهات الملحدين

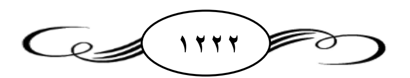
بدهي أن الحق غالب والباطل زاهق، فلا يستطيع الباطل الصمود أمام الحق، لما جعل الله فيه من قوة ذاتية، ومع قوة الحق ووضوحه فإنه لا يستغني عن الحجة[1] التي تدافع عنه، والسلطان الذي يقوم به، إذ الباطل رغم زيفه وكذبه إلا أنه قد ينتصر بفعل القوة، ولحن الحديث، وزخرف القول، فينخدع الناس للباطل ويميلون إليه، نظراً لغياب الحق عنهم، حين ينشط أهل الباطل ويتحمسون، ويسخِّرون ما يملكون من وسائل وأدوات بغية نشر باطلهم، وحمل الناس على الرضوخ له.

وهكذا وجد الإلحاد طريقه إلى النفوس والعقول "فالباطل لا يقنع العقل، ولا يملأ الروح، ولكن هالة الكلمات التي يتزخرف بها، وروعة الإخراج التي يخطر بها يجعل الناس يرتمون في أحضانه، ويتهافتون عليه، سيما والإلحاد يهتك أستار المحرمات، ويدفع إلى الموبقات، وهو ما تشتهيه النفوس، وتود الانبعاث فيه، والانخراط في براثنه، ومعلوم أن النفس أمَّارة بالسوء، فالحق يَعِدُ أهله بجنة عرضها السماوات والأرض، إلا أن زعماء الإلحاد يعدون أتباعهم بجنة على الأرض، تنال النفس فيها اللذات، وتنتهك المحرمات، فيعيشون كالأنعام للشهوات، والنفس في الغالب تؤثر العاجل على الآجل"[2].

---

(1) الحجّة هي الاستدلال على صدق الدعوى أو كذبها، وهي مرادفة للدليل. ينظر: المعجم الفلسفي (١/ ٤٤٥).

(2) الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ص٤٠-٤١ بتصرف، الشيخ: عبد الرحمن عبد الخالق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط الثانية ١٤٠٤هـ.

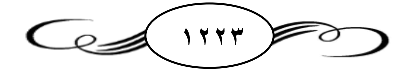


ولا ينحصر الدليل ولا تكفي الحجة المفحمة للملاحدة أن تكون قولاً ولفظاً على الدوام، بل لابد من موافقة الفعل للقول، والاعتبار بالحال قبل اللفظ "فالإسلام نظام عملي وعبادي واعتقادي، وإثبات الحق في الإسلام لا يكون بمجرد الكلام فمن زعم مثلاً : أن الإسلام يعني التخلف ويحارب العلم، كان الرد الطبيعي عليه أن يمتلك المسلمون القوة، وأن يتعلموا العلم المادي، وبذلك تبطل الشبهة، ومن قال: إن الإسلام لا يصلح لحياة الناس، كان الرد هو إقامة الإسلام العلمي الواقعي، وهكذا يصبح الحق حقا والباطل باطلاً، ومن هنا فلا يمكننا معالجة ظاهرة الإلحاد إلا إذا جعلنا العالم الواقعي هو الميدان لجهادنا وإثبات حقنا، وأما إذا أصبحت الكتب فقط والأوراق هي الميدان الذي نحارب فيه، فإننا لا شك نخسر المعركة، فلابد أن يكون الرد على شبهات الملحدين كلاماً في مقابل الكلام، وعملاً في مقابل الأعمال، فإذا أفرز الإلحاد انحرافاً وخبثاً وانحلالا فيجب على التوحيد أن يخلق طهراً وعفافًا واستقامة، وإذا كان الإلحاد يعني الظلم، فإن التوحيد يعني العدل، ولن نفهم العدل إلا إذا كان واقعاً كما أننا لا نحس بالظلم إلا إذا كان واقعاً"[1].

ويمكن عرض نماذج لبعض شبهات الملحدين، تبين كيف تناول علماء الأمة هذه الشبهات بالعرض والنقد، وكيف كان الرد عليها وتفنيدها ومن هذه الشبهات ما يلي:

---

(1) الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ص٤١-٤٢.



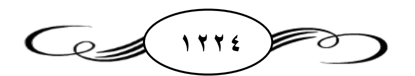
### ١- شبهة "إجراء قانون السببية[1] على الخالق":

من الشبهات التي تمسَّك بها الملحدون، وأطلقوها في وجه المؤمنين، شبهة إجراء قانون السببية على الخالق سبحانه، وهي شبهة داحضة، بيَّن أهل العلم واليقين خطأها لفساد القياس الذي قامت عليه، وممن رد عليها د. مصطفى محمود ففي حوار لصديق له ملحد يحب الجدل ويهوي الكلام، وهو رجل تخرج في فرنسا وحصل على دكتوراه وعاش مع الهيبز[2] وأصبح ينكر كل شيء، وجَّه هذه الشبهة للدكتور مصطفى محمود قائلاً: أنتم تقولون : إن الله موجود .. وعمدة براهينكم هو قانون "السببية" الذي ينص على أن لكل صنعة صانعاً، ولكل خلق خالقاً، ولكل وجود موجدا، النسيج يدل على النسّاج .. والرسم يدل على الرسّام .. والنقش يدل على النقّاش .. والكون بهذا المنطق أبلغ دليل على الإله القدير الذي خلقه .. صدّقنا وآمنّا بهذا الخالق .. ألا يحق لنا بنفس المنطق أن نسأل، ومن خلق الخالق ..

---

(١) **السببية**: مبدأ علمي فلسفي يذهب إلى أن لكل موجود سببا أوجده أو علة، وأن العلل الواحدة تؤدي إلى المعلولات الواحدة.ينظر: معجم الرائد (ص: ٧٤٤)، جيران مسعود، بدون.

(٢) **الهيبز** :ظاهرة اجتماعية كانت بالأصل حركة شبابية نشأت في ستينيات القرن العشرين بين طلاب بعض الجامعات في الولايات المتحدة كظاهرة احتجاج وتمرد على مبادئ الرأسمالية ومظاهر المادية، ثم ما لبثت أن انتشرت في باقي الدول الغربية، فقاموا بالدعوة لعالم تسوده الحرية والمساواة والحب والسلام، وميزوا أنفسهم بإطالة الشعر ولبس الملابس المهلهلة والتجول على هواهم في مختلف الأنحاء ووجدوا في المخدرات والجنس وموسيقى الروك متنفساً لها وطريقة للتمرد على القيم وتجربة أشياء جديدة.ينظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

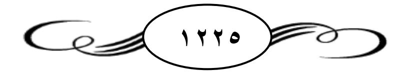


من خلق الله الذي تحدثوننا عنه .. ألا تقودنا نفس استدلالاتكم إلى هذا، وتبعاً لنفس قانون السببية .. ما رأيكم في هذا المطب دام فضلكم ؟

وقد أجاب فضيلة الدكتور عن شبهته، وفندها بالدليل العقلي والشواهد العلمية فقال: نحن نقول له: سؤالك فاسد .. ولا مطب ولا حاجة فأنت تسلّم بأن الله خالق ثم تقول مَن خلقه ؟! فتجعل منه خالقاً ومخلوقاً في نفس الجملة وهذا تناقض، والوجه الآخر لفساد السؤال أنك تتصور خضوع الخالق لقوانين مخلوقاته، فالسببية قانوننا نحن أبناء الزمان والمكان، والله الذي خلق الزمان والمكان هو بالضرورة فوق الزمان والمكان، ولا يصح لنا أن نتصوره مقيداً بالزمان والمكان .. ولا بقوانين الزمان والمكان، والله هو الذي خلق قانون السببية، فلا يجوز أن نتصوره خاضعاً لقانون السببية الذي خلقه، وأنت بهذه السفسطة أشبه بالعرائس التي تتحرك بزمبلك، وتتصور أن الإنسان الذي صنعها لا بد هو الآخر يتحرك بزمبلك، فإذا قلنا لها بل هو يتحرك من تلقاء نفسه، قالت : مستحيل أن يتحرك شيء من تلقاء نفسه، إني أرى في عالمي كل شيء يتحرك بزمبلك، وأنت بالمثل لا تتصور أن الله موجود بذاته بدون موجد .. لمجرد أنك ترى كل شيء حولك في حاجة إلى موجد، وأنت كمن يظن أن الله محتاج إلى براشوت لينزل على البشر ومحتاج إلى أتوبيس سريع ليصل إلى أنبيائه.. سبحانه وتعالى عن هذه الأوصاف علوّاً كبيراً، والفيلسوف الألماني "عمانويل كانت"[1] أدرك في كتابه (نقد العقل الخالص) "أن العقل لا يستطيع أن يحيط بكنه الأشياء وأنه

---

(1) كانت – عما نويل (١٧٢٤-١٨٠٤م): فيلسوف ألماني وضعت فلسفته العقل في صلب الوجود ومحوره، من آثاره: (نقد العقل العلمي – نقد الحكم – أسس ما ورائية الأخلاق). ينظر: هامش كتاب حوار مع صديقي الملحد ص٢٩.



مُهيّأ بطبيعته لإدراك الجزئيات والظواهر فقط، في حين أنه عاجز عن إدراك الماهيات المجردة مثل الوجود الإلهي"(١)، وإنما عرفنا الله بالضمير وليس بالعقل، شوقنا إلى العدل كان دليلنا على وجود العادل، كما أن ظمأنا إلى الماء هو دليلنا على وجود الماء"(٢).

نجد أن د. مصطفى محمود أفحم صديقه العنيد، وألزمه الحجة، ولقَّنه البرهان، وأتى على الشبهة بما ينسفها، فصديقه هذا قاس قياساً فاسداً، وأراد أن ينتهي إلى نفس النتيجة، وهو قياس مع الفارق، إذ أنه قاس الخالق على المخلوق، وقد ضرب فضيلة الدكتور مصطفى محمود لصديقه الأمثال لعله يتذكر أو يخشى.

**٢- شبهة "الدين أفيون الشعوب":**

هذه عبارة طالما لهث بها الملحدون، ولبَّسوها على الشعوب، فاتهموا الدين بأنه أفيون "يخدر أتباعه بالأمل في الآخرة فلا يطلبون الإنصاف ولا النعم في هذه الدنيا، فيظل الفقراء والمظلومون راضين بحالهم حالمين بالجنة والحور العين .. في حين يثبِّت الأغنياء على غناهم باعتبار أنه حق، وأن

---

(١) ينظر: نقد العقل المحض ص٢٥،٣٣، تأليف: عمَانوئيل كنط، ترجمة : موسى وهبة، مركز الإنماء القومي-بيروت- لبنان ١٩٨٨م.

(٢) حوار مع صديقي الملحد (ص: ٢-٣)، د. مصطفى محمود، مطابع الأهرام التجارية- قليوب – مصر، هدية مجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤٣٦هـ.



الله خلق الناس درجات، ويقولون إن الدين نتج من الظروف والدواعي الاجتماعية ليكون سلاحاً لطبقة على طبقة"(١).

وقد رد علماء الإسلام على هذه الشبهة، وأظهروا عورها وكشفوا زيفها، وأوضحوا "أن الدين الحق في حقيقته أعباء وتكاليف وتبعات، وليس تخفيفاً وتحللاً، وبالتالي ليس مهرباً من المسئوليات وليس أفيوناً، بل يأمر المسلم ألا ينسى نصيبه من الدنيا، ويحثه على دفع المظالم ومنع الشرور، ويعلِّم المسلم أن يقدِّس الحرية ويثور على المذلة والاستعباد، فلا يتسنى للحاكم الأجنبي أن يخضعه لغير معتقده أو يسومه الهوان في أمور الدنيا والدين، وديننا عمل وليس كسلاً قال سبحانه: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}(٢)، يأمر بالتوكل الذي يقتضي العزم واستفراغ الوسع، وبذل غاية الطاقة والحيلة، ثم التسليم بعد ذلك لقضاء الله وحكمه قال تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}(٣)، العزم أولاً .. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد أن يترك ناقته سائبة توكلاً على حفظ الله ( اعقلها وتوكل )(٤) أي ابذل وسعك أولا فثبتها في عقالها ثم توكل، والدين صحو وانتباه ويقظة،

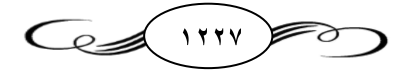
---

(١) ينظر: أفيون الشعوب ص٦٠، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط الأولى ٢٠١٣م، حوار مع صديقي الملحد(ص: ٢٩-٣١)، د. مصطفى محمود.

(٢) سورة التوبة: من الآية ١٠٥.

(٣) سورة آل عمران: من الآية ١٥٩.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٦٦٨/٤) ح(٢٥١٧) وإسناده حسن، تحقيق: أحمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.



ومحاسبة للنفس، ومراقبة للضمير، وليس هذا حال أكل الافيون، إنما آكل الأفيون الحقيقي هو المادي الذي ينكر الدين هرباً من تبعاته ومسئولياته، ويتصور أن لحظته ملكه، وأنه لا حسيب ولا رقيب ولا بعث بعد الموت، فيفعل ما يخطر على باله، وأين هذا الرجل من المتدين المسلم الذي إذا جاع فرد في أمته، أو ضربت دابة، عاتب نفسه بأنه لم يقم بواجب الدين في عنقه، وليس صحيحاً أن ديننا خرج من الأرض .. من الظروف والدواعي الاجتماعية .. ليكون سلاحاً لطبقة على طبقة وتثبيتاً لغنى الأغنياء وفقر الفقراء، والعكس هو الصحيح، فالإسلام جاء ثورة على الكانزين والمستغلين الظالمين، فواجه الإسلام مشكلة الفقر بحلوله المتعددة، ولم يُقصِر مواجهتها على فرض الزكاة لمستحقيها، بل ينكر الإسراف والترف والاحتكار ويأبى أن تكون الأموال دولة بين الأغنياء"[1].

ظهر مما سبق أن الدين الحق بمنأى عما نسبه إليه الملاحدة، فالدين لا يخدِّر الشعوب، بل يوقظ الضمائر، ويحيي القلوب ويدعو إلى العمل ويحذِّر من الدعة والخمول، ويأمر بأداء الحقوق وتحمل التبعات، وينهى عن كل ما يؤدي إلى التثاقل والغفلة وتعطيل القوى والملكات، كما أن الدين جاء لإقامة العدل وبسط الحق وبذل حقوق الفقراء، كما أنه أذاب الطبقية والعرقية، ودعا إلى الحرية والمساواة، وبهذا يتضح إفك ما ادَّعاه الملحدون.

### المطلب الرابع: وضع قوانين منظمة لحرية الفكر والتعبير عن الرأي

من أهم العوامل التي تقي المجتمع مخاطر الإلحاد ومهدداته، تفعيل القوانين الصادرة لمواجهة الأفكار المتطرفة والمجرمة لازدراء الأديان، ففي

---

(1) ينظر: أفيون الشعوب ص٦٠-٦١، حوار مع صديقي الملحد (ص: ٢٩-٣١).

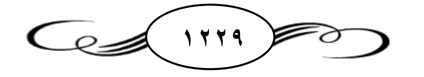


المادة ٩٨ (و) من قانون العقوبات المصري رقم (٥٨) لسنة (١٩٣٧) ورد ذكر العقوبة وهاك نصها "يُعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تجاوز خمس سنوات أو بغرامة لا تقل عن خمسمائة جنيه، ولا تجاوز ألف جنيه كل من استغل الدين في الترويج بالقول أو بالكتابة أو بأية وسيلة أخرى لأفكار متطرفة بقصد إثارة الفتنة أو تحقير أو ازدراء أحد الأديان السماوية أو الطوائف المنتمية إليها أو الإضرار بالوحدة الوطنية"[١]، والعقوبة المنصوص عليها إن لم تكن رادعة بما يكفي، لكنها مشتملة على ضرب من الزجر يجعل المرء يحترز في أقواله ويحتاط في أفعاله، ويدقق في أفكاره، متى تيقَّن أن العقوبة تلحقه وتنال منه.

وأرى أنه من الأهمية بمكان سن قوانين رادعة تعمل على تنظيم حرية الفكر وتحد من الشطط في التعبير عن الرأي، فالأقوال لابد أن تكون هادفة واقعية منطيقة حتى يُحترم قائلوها، وتُكفل الحماية لهم، لا كما يُشاهد في الواقع الإعلامي من حدوث الفوضى الفكرية، وشيوع الأقوال الشاذة والغريبة التي تقدح في المسلمات والحقائق، وتجعل الناس في شك وريب، فلا بد من الضرب على يد من تسوّل له نفسه إحداث الخلل، وإثارة البلبلة، وإقحام الناس في أمور تعصف بعقيدتهم وتثير الشك والريب في نفوسهم، فضلاً عن استهلاك أوقاتهم، واستنفاذ طاقاتهم، ويكون العقاب بسيف وسلطة القانون، بأن تُفرض العقوبة المالية والجسدية على كل مَن يزدري الأديان، ويشكك في المسلمات تحت دعوى حرية الفكر، وإمكانية التعبير عن الرأي.

---

(١) ينظر: جريدة الوقائع المصرية العدد ٧١ الصادر في ٥ أغسطس ١٩٣٧م، الموقع الرسمي لمحكمة النقض المصرية https://www.cc.gov.eg/legislation_single?.



فينزجر بهذه العقوبة من ارتكب الفعل، ويرتدع وينتهي مَن عزم على الفعل، ولكن أن يُترك المسرح للمنحرفين والمهرطقين، وتُقبِل القنوات الإعلامية على استضافتهم، ويتم تقديمهم بهالة من الثناء والتكريم فتلك هي الطامة الكبرى، وهي سبب رئيس للحال الفوضوية التي أظلتنا في عالمنا الإسلامي والعربي، ويضاف إلى فرض العقوبة التأديبية منعُ أصحاب الفكر الشاذ والآراء المنحرفة من التصدر للحديث ومخاطبة عوام الناس، حفظاً للدين، وحماية للعقيدة، وحراسةً للفضيلة، ورحم الله المفكر محمد إقبال[1] حيث قال:

**إذا الإيـــــــمان ضاع فلا أمانَ ☆☆☆ ولا دنيا لمن لم يحي دينَا**

**ومَن رَضِيَ الحياة بغير دِين ☆☆☆ فقد جعل الفناء لها قرينَا**[2].

وقياماً بواجب الدفاع عن الحق وحراسة الدين من التحريف والتزييف ظهرت بعض المبادرات التي طالبت بضرورة اتخاذ الإجراءات العملية للتصدي للملحدين ومزدري الأديان، "فقامت مشيخة الأزهر الشريف في ١٨ يناير ٢٠١٤م بتوقيع بروتوكول تعاون مع وزارة الأوقاف ووزارة الشباب والرياضة بهدف احترام الأديان السماوية ونبذ ازدراءها فضلاً عن تصحيح المفاهيم

---

(١) محمد إقبال (١٨٧٥-١٩٣٨م): شاعر وفيلسوف هندي مسلم، نظم باللغة الفارسية واللغة الأوردية، وكان أول من دعا إلى إنشاء دولة باكستان، أشهر آثاره الشعرية: قصيدة طويلة عنوانها "أسراري خودي" أي: أسرار النفس، وأهم آثاره الفلسفية "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام". ينظر: معجم أعلام المورد ص٦٠.

(٢) ينظر: شبكة الإسلام اليوم، مقال بعنوان "كن مثل إقبال همّاً وشعرا ... قراءة في مملكة البيان" بقلم د. عائض القرني، http://www.saaid.net/Minute/mm٧٤.htm.

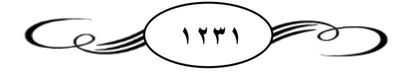


الخاطئة لدى الشباب المصري، كما حذَّر الإمام الأكبر أحمد الطيب شيخ الأزهر في درسه الأسبوعي بالتلفزيون المصري تاريخ ١٢ أكتوبر ٢٠١٤م من انتشار تلك الظاهرة، وأشار إلى إنها تمثِّل تحديا حقيقياً، إذ إنها تدمِّر الشباب، فضلاً عن كونها لم تعُد موضوعاً هامشياً، وأن الأزهر معنيٌّ بالتصدي لها"[١].

وهذه جهود مشكورة إلا أنها في حاجة إلى أن تحظى بتفاعل من الجهات التشريعية لإصدار القوانين المجرِّمة لازدراء الأديان وإجراء العقوبات الرادعة، مع تفعيل العقوبات المنصوص عليها بقانون العقوبات.

---

(١) ينظر: مجلة الغربة الإلكترونية، مقال بعنوان " الإلحاد خطر كامن يهدد الشباب (الحقيقة الأسباب العلاج)، بقلم د. ضياء دويدار ، منشور بتاريخ ٢٠١٥/٣ .http://al-ghorba٤.blogspot .com



## الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات :

### أولاً: النتائج

إن أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج ينحصر باختصار فيما يلي:

١- تبيَّن أنَّ من أسباب الإلحاد ذلكم التناقض الكبير بين الكتاب المقدس ومعطيات العلم الحديث.

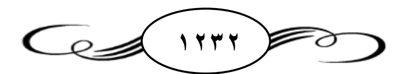
٢- ظهر أنَّ من أسباب الإلحاد الانبهار بالحضارة الغربية والتقليد الأعمى لها.

٣- اتضح أن الاضطهاد والتنكيل الذي تعرَّض له العلماء على أيدي رجال الكنيسة على مرأى ومسمع من عامة الناس، كوَّن لديهم موقفاً معادياً للكنيسة.

٤- تسببت النهضة العلمية التي بدأت في الشرق الإسلامي في القرن التاسع عشر في سريان موجة من الإلحاد بسبب اعتناق بعض رجالها للإلحاد ودفاعهم عنه.

٥- يعتبر الغزو الفكري بأساليبه المختلفة (الاستشراق- التبشير- الاستعمار) أحد الأسباب الرئيسة لظهور التيار الإلحادي بالعالم الإسلامي؛ حيث كان دافعه الرئيس الهجوم على الإسلام وإضعاف ثقة أهله به.

٦- ساعد على ظهور الإلحاد بالعالم الإسلامي قيام بعض الشباب الفارغ فكرياً والخاوي علمياً بتقليد الحركة الفكرية الغربية، في الثورة على



الدين وإنكار المسلمات، وانساق بعضهم نحو اعتناق الماركسية، وساعدهم على ذلك المشاكل الاقتصادية الكائنة بالعالم الإسلامي.

٧- إن فقدان القدوة الحسنة داخل الأسرة وفي كثير من الهيئات التربوية والتعليمية، تسبب في ضعف الإيمان، وأدى إلى الانسلاخ من الدين، ومهد بذلك للجرأة على الإلحاد.

٨- اتضح أن الإيمان بالله أمر فطري لا يستغني عنه الإنسان السوي، وبالتالي فيجب على المؤمن أن يقدر هذه النعمة فيحفظ إيمانه من غوائل الشبهات وأدران الإلحاد، ويكون ذلك بالتذكير الدائم بقدرة الله تعالى وعظمته وجبروته وعزته وغناه وهيمنته.

٩- تبيَّن أن التربية السليمة القائمة على أسس الإيمان ونوازع الخير في القلوب هي خير ما ينقذ الشباب مما أصاب بعضهم من لوثات فكرية وانحرافات عقدية.

١٠- اتضح أن إثبات الحق في الإسلام لا يكون بمجرد الكلام فمن زعم مثلاً : أن الإسلام يعني التخلف ويحارب العلم، كان الرد الطبيعي عليه أن يمتلك المسلمون القوة، وأن يتعلموا العلم المادي، وبذلك تبطل الشبهة.

**ثانياً: التوصيات**

١- أرى ضرورة تجديد الخطاب الديني سيما العقدي منه بأسلوب عصري، يتوافق مع الواقع، ويعين على ذلك الاستفادة من العلوم العصرية؛ لتفنيد شبهات الملحدين.



٢- يجب على العلماء والدعاة التحلي بالبشاشة وعدم التضجر من الشباب إذا التبس عليهم أمر، أو عرضت لهم شبهة، كما ينبغي فهم السؤال والشبهة جيداً والتأني في الجواب عليها وتعميق الرد.

٣- أوصي بعدم وقوف الدعاة والباحثين موقف المدافعين أمام التيار الإلحادي، بل يجب نقد الفكر الإلحادي، من الجوانب المختلفة الأخلاقي والمنطقي والاجتماعي والاقتصادي ... .

٤- ضرورة ترسيخ الحضور القرآني في قضايانا الفكرية، وهو ملمح مهم يعطي المسلم قوة في طرحه وحكمة في مناقشته.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

# فهرس المصادر

## القرآن الكريم


١- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٢- أساس البلاغة – لأبي قاسم محمود بن عمرو الزمخشري- تحقيق محمد باصل عيون الصود، دارا لكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف – القاهرة ، ط الخامسة ١٩٩٧م.

٤- الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، عبد المنعم محمد حسنين، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة – العدد الثاني ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٥- أسس بناء المنهج النقدي، إعداد : صدام حامدي، بدون.

٦- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، تأليف ونشر: جامعة المدينة العالمية، المرحلة: ماجستير، كود المادة: GUQR٥٣١٣ و GAQD٥١٣٣.

٧- الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.

٨- أفيون الشعوب، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط الأولى ٢٠١٣م.




٩- الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، الشيخ/عبد الرحمن عبد الخالق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ط الثانية ١٤٠٤هـ.

١٠- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي ابن أبي زرع الفاسي، دار الطباعة المدرسية، أوبسالة ١٨٢٣م، دار المنصور، الرباط ١٩٧٢م.

١١- أيسر التفاسير للجزائري، للشيخ أبي بكر جابر بن موسى الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٢- البحث العلمي أساليبه النظرية وممارسته العملية، د.رجاء وحيد دويدري، دار الفكر بيروت، ط. الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٣- البحث العلمي المؤسسي، د. عبد القادر الشيخلي، نشر: المنظمة العربية للتنمية الإدارية – جامعة الدول العربية – المؤتمر العربي الثالث – القاهرة- مصر ٢٠٠٣م.

١٤- تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط السنة (٣٥) العدد (١٢١) ١٤٢٤هـ.

١٥- التعريفات ، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٦- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



١٧- التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢هـ.

١٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

١٩- التفسير الوسيط، د. وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٠- جريدة الوقائع المصرية العدد ٧١ الصادر في ٥ أغسطس ١٩٣٧م، الموقع الرسمي لمحكمة النقض المصرية https://www.cc.gov.eg.

٢١- جهود المفكرين المسلمين في مقاومة التيار الإلحادي، د. محمود عبد الحكيم عثمان، مكتبة المعارف – الرياض.

٢٢- حوار مع صديقي الملحد، د. مصطفى محمود، مطابع الأهرام التجارية- قليوب – مصر، هدية مجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤٣٦هـ.

٢٣- دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق بن عبد الله السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.

٢٤- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د.أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون – الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٨م.

٢٥- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، د. رؤوف شلبي، الناشر: دار القلم، الكويت، ط الثالثة.



٢٦- الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، المكتبة العصرية، لبنان / صيدا - بيروت ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٧- سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٨- سير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٢-٣٤٦)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٩- شبكة الإسلام اليوم، مقال بعنوان "كن مثل إقبال همًّا وشعرا ... قراءة في مملكة البيان" بقلم د. عائض القرني، http://www.saaid.net.

٣٠- شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، وزارة الشؤون الإسلامية، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٣١- العقيدة في الله، د. صالح الرقب، د. محمد حسن بخيت (الجامعة الإسلامية - كلية أصول الدين- غزة- فلسطين)، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٣٢- علماء وأعلام كتبوا بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية (مقالات الشيخ نديم الجسر)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.



٣٣- فتح الباري، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٤- لسان العرب، للعلامة ابن منظور، ط دار الحديث – القاهرة، ط الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٣٥- مجلة التحرير الإلكترونية، مقال بعنوان "الزيتونة والقرويين والأزهر أقدم الجامعات العربية في العالم" نشر بتاريخ ٢٠١٦/٢/٢٥م.

٣٦- مجلة الغربة الإلكترونية، مقال بعنوان " الإلحاد خطر كامن يهدد الشباب (الحقيقة الأسباب العلاج)، بقلم د. ضياء دويدار، منشور بتاريخ ٢٠١٥/٣ http://al-ghorba٤.blogspot ..com

٣٧- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش بن محمد نجيب، بدون.

٣٨- المحاسن والأضداد، لأبي عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣هـ.

٣٩- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٠- المختصر المفيد شرح جوهرة التوحيد، د. نوح علي سلمان القضاة، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع- عمان – الأردن، ط الثالثة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.



٤١- معجم أعلام المورد ، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الأولى ١٩٩٢م.

٤٢- معجم الرائد، جيران مسعود، بدون

٤٣- المعجم الفلسفي د. جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٤- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٤٥- معجم المؤلفين، لعمر بن رضا... كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٦- المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٤٧- معركة المصحف في العالم الإسلامي، الشيخ محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط الأولي.

٤٨- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر التيمي فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثالثة ١٤٢٠هـ.

٤٩- مواسم العمر، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.



٥٠- المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٥١- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) https://ar.wikipedia.org/wiki.
٥٢- موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثره على المسلمين، علي بن نايف الشحود، بدون.
٥٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ.
٥٤- نقد العقل المحض، تأليف: عمَانوئيل كنط، ترجمة : موسى وهبة، مركز الإنماء القومي-بيروت- لبنان ١٩٨٨م.
٥٥- الوفيات والأحداث، تأليف: عضو ملتقى أهل الحديث، آخر تحديث بتاريخ: ٢٠ ربيع الأول ١٤٣١هـ.
٥٦- وهم الإلحاد، د. عمرو شريف، الناشر: مجلة الأزهر، هدية المحرم ١٤٣٥هـ.

## محتويات البحث

**المقدمة**

**التمهيد**

**المبحث الأول: أسباب ظهور الإلحاد وعوامل انتشاره**

المطلب الأول: أسباب ظهور الإلحاد بالعالم الغربي

أولاً: التناقض الكبير بين الكتاب المقدس ومعطيات العلم الحديث

ثانياً: اضطهاد الكنيسة الغربية للعلماء واتهامهم بالهرطقة

ثالثاً: انتشار التفسيرات الخاطئة والقياس الفاسد

رابعاً: الثورة الماركسية الشيوعية وتبنيها شعار (الدين أفيون الشعوب)

**المطلب الثاني: أسباب ظهور الإلحاد بالعالم الإسلامي**

أولاً: الانبهار بالحضارة الغربية والتأثر بملامحها

ثانياً: التأثر بالغزو الفكري

ثالثاً: إطراء العقل والاغترار بالعلم التجريبي

رابعاً: العُقَد النفسية

خامساً: الجفاف الروحي وفقدان القدوة

سادساً: الضعف العلمي والفراغ الفكري

**المبحث الثاني: سبل مواجهة الإلحاد والوقاية من مخاطره**

المطلب الأول: الدعوة إلى توحيد الله وتوثيق عُرى الإيمان



المطلب الثاني: دور الأسرة والمجتمع في تحصين النشء

المطلب الثالث: التصدي لشبهات الملحدين

المطلب الرابع: وضع قوانين منظمة لحرية الفكر والتعبير عن الرأي

**الخاتمة**

**النتائج**

**التوصيات**

**فهرس المصادر**

**محتويات البحث**

